آثار الإمام ابن قيم الجوزية وما لحقها من أعمال
(١٦)



مطبوعات المجمع

هداية الحيارى

في أجوبة اليهود والنصارى

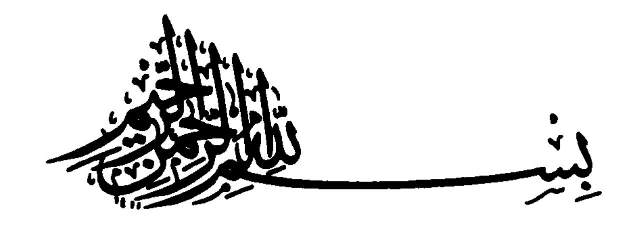
تأليف
الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية
(٦٩١ - ٧٥١)

تحقيق
عثمان جمعة ضميرية

إشراف
بكر بن عبد الله أبو زيد

تمويل
مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية

دار عالم الفوائد
للنشر والتوزيع



راجع هذا الجزء

محمد أجمل الإصلاحي

سعود بن عبد العزيز العريفي

عبد الله بن محمد القرني



مؤسسة سليمان بن عبدالعزيز الراجحي الخيرية
SULAIMAN BIN ABDUL AZIZ AL RAJHI CHARITABLE FOUNDATION

الطبعة الاولى ١٤٢٩هـ

دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع
مكة المكرمة ص.ب ٢٩٢٨ هاتف ٥٥٠٥٣٠٥ فاكس ٥٥٤٢٣٠٩

الصف والإخراج دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي خلق السمٰوات والأرض، وجعل الظلمات والنور، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون. والحمد لله الذي لا يؤدَّىٰ شكرُ نعمة من نِعَمه إلا بنعمةٍ منه توجب على مؤدِّي ماضي نعمه بأدائها: نعمةً حادثة يجب عليه شكره بها.

أحمده حمدًا كما ينبغي لكرم وجهه وعزِّ جلاله، وأستعينه استعانة من لا حول له ولا قوة إلا به، وأستهديه بهداه الذي لا يضل من أنعم به عليه، وأستغفره لما أزلفت وأخَّرت: استغفار من يقرُّ بعبوديته، ويعلم أنه لا يغفر ذنبه ولا ينجيه منه إلا هو.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، بعثه والناس صنفان:

(أحدُهما): أهل كتاب بدَّلوا من أحكامه، وكفروا بالله، فافتعلوا كذبًا صاغوه بألسنتهم، فخلطوه بحق الله الذي أنزل إليهم. فذكر تبارك وتعالى لنبيه من كفرهم، فقال: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران/ ٧٨].

وقال تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ [النساء/ ٥١ ـ ٥٢].

(وصِنفٌ): كفروا بالله فابتدعوا ما لم يأذن به الله، ونصبوا بأيديهم

حجارةً وخُشُبًا وصورًا استحسنوها، ونبزوا أسماءً افتعلوها، ودعوها آلهةً عبدُوها. فأولئك العرب. وسلكت طائفةٌ من العجم سبيلهم في هذا، وفي عبادة ما استحسنوا، فذكر الله لنبيه ﷺ جوابًا من جواب بعضهم إذ قالوا: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الزخرف/ ٢٢].

فلما بلغ الكتاب أجَلَه، فحقَّ قضاء الله بإظهار دينه الذي اصطفى: فتح أبواب سماواته برحمته، فكان خيرتُه المصطفى لوحيه، المنتخبُ لرسالته المفضل على جميع خلقه: محمدًا عبدَه ورسوله، فصلى الله عليه كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون، وصلى عليه في الأولين والآخرين، أفضل وأكثر وأزكى ما صلى على أحدٍ من خلقه وسلم[١].

وبعد:

فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ بعث رسله، وأنزل كتبه وشرائعه، ليقوم الناس بالقسط والعدل، وختم الله تعالى هذه الشرائع برسالة نبينا محمد ﷺ التي اختصها الله تعالى باسم «الإسلام»، فكانت هي الدين الكامل، والنعمة التامة، وجعلها مهيمنة على سائر الأديان، موجهة للناس كافة. وقد وسعت البشريةَ كلَّها بدعوتها إلى التوحيد، وحملت مشعل النور إلى العالمين، وأعادت للإنسان حريته وكرامته، وأرست دعائم الحضارة التي تقوم على الإيمان والأخلاق، والعلم والعمل، والحق والعدل، كما عُنيت بتحديد العلاقات مع أهل الأديان الأخرى، الذين عاشوا في

---

(١) اقتباس من افتتاحية كتاب «الرسالة» للإمام الشافعي رحمه الله.

ظلها، ينعمون بالأمن والأمان، ويتمتعون بحقوقهم كاملة غير منقوصة.

ولكنَّ أولئك القوم - من وثنيين وكتابيين وغيرهم - وقفوا من هذه الدعوة ومن نبيِّها وأتباعه موقف العداء والصدود والتآمر، منذ فجر هذه الدعوة؛ فنازلوها في ميدان القتال بالسلاح والسِّنان، وفي ميدان الفكر بالجدال وإلقاء الشبهات، والدعاية المغرضة الكاذبة، وبآلتُّهم الظالمة الجائرة، وفي ميدان الاقتصاد والاجتماع بالحصار والإنفاق للصدِّ عن سبيل الله، وفي ميدان السياسة بنقض العهود والمواثيق، وبالتآمر ومكر الليل والنهار.

وقد حكى الله تعالى في كتابه الكريم موقف القوم وعداءهم للإسلام والمسلمين، وتحالفهم جميعًا لتحقيق مآربهم ومخططاتهم، ثم جاء الواقع التاريخي العمليُّ - في القديم والحديث - يؤكد ذلك ويصدِّقه. وما خبر الحروب الصليبية عنا ببعيد، تلك الحروب الغاشمة، التي كان مبدؤها ذلك الصراع المبكر بين المسلمين والرومان، ومن صورها الأخيرة: محاربة المسلمين والعدوان عليهم في فلسطين، وفي سائر البلاد التي تقاسمها المستعمرون الفرنسيون والإنجليز والإيطاليون والهولنديون..

وفي الأيام الأخيرة العدوان الهمجي على المسلمين في البوسنة والهرسك، وفي الشيشان، وفي الفلبين، وفي تايلند، وفي الهند، وفي كشمير، وفي الصومال، وفي أفغانستان، وفي العراق.

وقبل ذلك: حرب الإبادة الجماعية في الاتحاد السوفيتي، وفي الهند، وفي كشمير أيضًا، وفي يوغوسلافيا وفي الحبشة وغيرها من الأصقاع التي يسيطر فيها غير المسلمين، أو يتغلبون فيها عليهم، سواء

أكانوا أقلية أو أغلبية أو أكثرية.

وفي العصور السالفة: محاكم التفتيش في إسبانيا بعد سقوط دولة المسلمين في الأندلس، وحرب التتار وهجومهم على دار الإسلام والخلافة الإسلامية، وتآمر النصارى الصليبيين والمغول...[١].

وفي العصر الحديث: يتعاون أهل الكتاب مع الملحدين أيضًا في المعسكر الشيوعي، ليواجهوا الإسلام، وليضربوا كلَّ حركة إسلامية صادقة؛ فهم يتناسون كلّ خلاف يمكن أن يقوم بينهم إذا ما واجهوا الإسلام والمسلمين، فهم دائمًا متعاونون ضدنا، ومع ذلك يحاولون الخداع بالشعارات الزائفة والدعاوى العريضة الكاذبة[٢].

---

(١) يقول المستشرق الأمريكي (جون. ل. لامونت): «فرحت أوربا، وهللت لانتصارات المغول، ولما كان المغول ـ بصورة عامة ـ مسالمين للنصارى، ولما كان بينهم عدد كبير من النساطرة... فقد اعتبر البابا وحكام أوربا الغربية المغول حلفاء لهم في صراعهم المشترك ضد الإسلام، وكان البابا يحلم طوال سنوات عديدة بإنشاء حلف عظيم بين المغول وأوربا يسحق الدولة الإسلامية سحقًا..). انظر بحث الكاتب المذكور عن «الحروب الصليبية والجهاد» في كتاب «دراسات إسلامية» بقلم مجموعة من المستشرقين، ترجمة د. أنيس فريحة وزملائه من أساتذة الجامعة الأمريكية في بيروت، ص(١٣٥). وراجع بتوسع: «الشخصية الدولية في القانون الدولي العام والشريعة الإسلامية» د. محمد كامل ياقوت، ص (٢٥٥) وما بعدها، «الدعوة إلى الإسلام» تأليف توماس أرنولد، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن، ص (٢٥٦ ـ ٢٦٦)، «في ظلال القرآن» للأستاذ سيد قطب، ص (١٦٠٨ ـ ١٦١٠)، «منهج الإسلام في الحرب و السلام» عثمان جمعة ضميرية، ص (٥٠ ـ ٥٥).

(٢) قال الرئيس الأمريكي الأسبق (ريتشارد نيكسون) حين عاد من جولة قام بها في أفغانستان لدراسة الأحوال هناك، فسأله الصحفيون: ماذا وجدت هناك؟ فقال: =

ومن قبل هذا كلِّه: التحالف الوثني اليهودي في عهد النبي ﷺ في غزوة الأحزاب، والتآمر اليهودي النصراني في حروب الرِّدَّة...[1].

وإذا كانت الحروب العسكرية، ليست الميدان الوحيد للنزال والصراع، وليست الوسيلة المضمونة للغلبة على المسلمين، ولا الأداة المشروعة في المواثيق الدولية؛ فإنَّ هناك ميدانًا آخر للنزال، وهو ميدان الفكر والإعلام، والدعاية والمعلومات، فليكنْ ذلك وسيلة مأمونةً ومضمونة في التشويه والتشويش والتشكيك!

وهذه الصورة الجديدة للحرب الفكرية والصراع الحضاري ـ رغم

= وجدت أن الخطر هو الإسلام! ويجب أن نصفي خلافاتنا مع روسيا في أقرب وقت، فروسيا ـ على أي حال ـ بلد أوروبي، والخلاف بيننا وبينها قابل للتسوية، أما الخلاف الذي لا يقبل التسوية فهو الخلاف بيننا وبين الإسلام». انظر: «رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر» للأستاذ محمد قطب، ص (١٦١).

(١) في حركة الردة عن الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ تكونت أحلاف من القبائل التي يكثر فيها عناصر يهودية أو نصرانية وهاجموا المسلمين، ولكن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ ردّهم وكسر شوكتهم، فقامت هذه القبائل بالانتقام من المسلمين في قبائلهم وقتلوهم دون شفقة أو رحمة؛ فبعضهم حرق حيًّا وبعضهم الآخر ألقي من أعلى الصخور الشاهقة... فكانت هذه الأحلاف في حقيقتها مؤامرة يهودية نصرانية مستغلة الوثنية، متقنعة بحركة الردة من قبل الأعراب. انظر: «تاريخ الدعوة الإسلامية في زمن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين» د. جميل عبد الله المصري، ص (٢٤٤ ـ ٢٥٠). وراجع: «تاريخ الطبري»: ٣/ ٢٤٤ وما بعدها. ومسألة التحالف الوثني الكتابي (اليهودي والنصراني) جديرة بالدراسة والوقوف عندها، والتاريخ شاهد على ذلك، والواقع المعاصر يؤيده، رغم الدعاوى والشعارات التي يحاولون إطلاقها للتعمية والتدليس والخداع.

كل ما يقال عن التسامح والتعايش والحوار ـ اتخذت صورًا متعددة وأشكالاً مختلفة، وتذرعت بوسائل متنوعة. وهذا كله يهدف إلى إضعاف الشعور الديني والحمية الدينية عند المسلمين، مما يؤدي إلى تفرُّقهم، ويسهِّل السيطرة عليهم، في مجال الفكر والثقافة، وفي مجال السياسة والاقتصاد. وفي الوقت نفسه يسهِّل الطريق أمام المنصِّرين والعلمانيين، ويتعاون الجميع على الطعن في الإسلام، وفي القرآن الكريم، وفي النبي ﷺ ودعوته، ثم في أصحاب النبي ـ رضوان الله عليهم ـ الذين حملوا هذا الدين.

وهذا الذي تقدم ـ وغيره كثير ـ يوجب على علماء الإسلام ومفكِّريه وقادته أن يقوموا بواجب الدعوة إلى هذا الدين، وعندئذ يبيِّنون حقيقته وأحكامه، ويردُّون الشبهات التي يثيرها الحاقدون والجاهلون والمُغْرِضون من الأعداء الظاهرين المستعلنين وغير الظاهرين المتخفِّين والمتسترين.

وقد قام هؤلاء العلماء بواجبهم ـ في القديم والحديث ـ وكان من بينهم الإمام العلامة أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيِّم الجوزية المتوفى سنة (٧٥١)، وكتابه «هداية الحيارىٰ في أجوبة اليهود والنصارى» يقف شاهدًا ناطقًا على قيامه ـ رحمه الله ـ بهذا الواجب، فكان من الخير أن ينال من العناية ما يستحق من الدراسة والإخراج، كي يستمر النفع به إن شاء الله تعالىٰ.

هذا، وسنقدم بين يدي نصِّ الكتاب فقرات تتناول بداية الحوار مع أهل الكتاب، وأهم الكتب والمؤلفات التي كانت ثمرة لهذه الحوارات والمجادلات، ثم علاقة الإسلام باليهودية والنصرانية، ويتخلل ذلك بعض

الملاحظات حول البشارات وما يتصل بذلك. ثم نوجز مكانة الكتاب وموضوعه ووصف مخطوطاته، وطريقة العمل فيه.

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه، موافقًا لشرعه، متقبَّلاً عنده، وأن ينفع به كما نفع بأصله. والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

الطائف: في ١/ محرم/ ١٤٢٩هـ كتبه

عثمان بن جمعة ضميرية



أولاً: الحوار مع أهل الكتاب

بدأ الحوار مع أهل الكتاب منذ فترة مبكرة في تاريخ الإسلام، تعود إلى عصر النبي ﷺ، فقد حفل القرآن الكريم بمناقشة أهل الكتاب والردِّ عليهم.

فاليهود الذين عاصرهم النبي ﷺ في المدينة بعد الهجرة، وقد كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج ببعثة نبي جديد؛ هم الذين كفروا بالنبي ﷺ وناصبوه العداء منذ اللحظة الأولى، وتنوعت وسائلهم في الصدِّ عن الدعوة والمماطلة والجدال وإلقاء الشبهات وإثارة الحرب الفكرية والنفسية، ونقض العهود والمواثيق.

وكان القرآن الكريم يتولى مناقشتهم والردَّ عليهم وبيان مؤامراتهم، كما أوضح تحريفهم لكتبهم، ورسم صورةً صادقة لطبيعتهم ونفسيتهم.

وبعد أن خرج اليهود من الجزيرة العربية، قاموا بدور كبير في عدائهم لهذا الدين ـ ومنهم من دخل فيه ظاهرًا وهم على حقد وضغينة ـ وقد بدأ اتصالهم بالمسلمين لإثارة الفتنة، فكان لعبد الله بن سبأ دوره في الفتنة في عهد عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ ثم تتابعت مظاهر الفتنة في نشر فكرة الإمام المعصوم والوصية والرجعة التي تلقفتها عنهم الفرق الباطنية، وأثاروا الجدل بين المسلمين حول الذات الإلهية والصفات، وهم الذين عرف عنهم التشبيه والتجسيم، كما هو مكتوب في كتبهم، وقد انتقلت هذه الأفكار إلى التراث الإسلامي فيما عرف باسم «الإسرائيليات» في كتب التفسير والحديث.

وأثاروا أيضًا بين المسلمين الجدل حول الجبر والاختيار وغير ذلك

من أمور العقيدة، وعندئذ قام المسلمون بالردّ على مفتريات اليهود وشبهاتهم وناقشوا عقائدهم، واتخذوا لذلك منهجًا يقوم على النظر والدليل.

وأما النصارى؛ فقد بدأ الجدل بينهم وبين المسلمين في الحبشة أولاً، عند الهجرة الأولى للمسلمين، في حقيقة المسيح، وفي الكلمة، وفي غير ذلك من مسائل تدور حول العقيدة الإسلامية في المسيح. ثم جاء وفد نصارى نجران إلى المدينة وجادلوا النبي ﷺ في شأن عيسى عليه السلام، وقد دعاهم النبي ﷺ إلى المباهلة. قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران/ ٦١].

ثم وصل الإسلام إلى الشام والعراق ومصر، فبدأت النصرانية تنازعه نزاعًا فكريًا شديدًا. وثار الجدل حول طبيعة المسيح وحول مسائل الألوهية، وفكرة الجوهر والعَرَض، والأقانيم الثلاثة والوحدانية، وفكرة الخطيئة والصَّلب. وبلغ الجدل ذروته من الشدة بعد «يوحنا الدمشقي» (طبيب الأمويين الذي وضع للنصارى أصول الجدل مع المسلمين) على يد نصراني آخر هو «يوحنا النقيوسي» المصري الذي رحل إلى الحبشة وبدأ يرسل رسائله إلى أقباط مصر، يحاول فيها مناقشة العقائد الإسلامية، والحيلولة دون اعتناقهم الإسلام في عهد الدولة العباسية[١].

---

(١) انظر: «نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام»، د. علي سامي النشار: (١/ ٦١ ـ ٦٢).

وكان لعلماء المسلمين مناقشات لمذاهب النصارى، وجدال معهم ومع اليهود، كما تقدم، فتركوا لنا تراثًا ضخمًا في هذا المجال يتمثل فيما كتبه أئمة أعلام نقدًا وردًا، فقد نقدوا ما عند القوم من تحريف وتغيير وتبديل، وبيّنوا ذلك أحسن بيان، وردُّوا على الشبهات التي أثاروها حول القرآن والنبي ﷺ ودين الإسلام، وأقاموا عليهم الحجة، وتباينت مناهجهم وأساليبهم في ذلك. وحسبنا أن نشير هنا إشارات موجزة إلى تلك الجهود في الجدال مع اليهود والنصارى، والرد على كتبهم وتحريفهم وما يتصل بذلك من بيان فضل الإسلام وخصائصه عند المقارنة والموازنة(١). وذلك بعرض سريع لأهم الأعلام الذين كتبوا في ذلك ومؤلفاتهم منذ العصور الأول إلى عصرنا الحاضر.

أ ـ ومن أوائل الكتب والرسائل في ذلك من المصادر القديمة:

١ ـ «رسالة الهاشمي إلى الكندي»، يدعوه فيها إلى الإسلام. وقد نشرت لأول مرة في لندن عام ١٨٨٠م بعناية أ. تيان. ثم أعيد نشرها أيضًا سنة ١٨٨٥ وسنة ١٩١٢م، كما نشرت في القاهرة مرتين عام ١٨٩٥م

---

(١) كانت المجادلات من الجانب الإسلامي في العادة تسمى «ردًّا على النصارى» مثلاً، وليس معنى ذلك أن هؤلاء قد هاجموا الإسلام بالضرورة فانبرى المسلمون للردّ عليهم. وإنما هو فنّ «كلامي» قد يندرج ضمن باب التوحيد في المؤلفات العقدية عمومًا، وقد تخصص له كتب أو رسائل مفردة. والغرض في كلتا الحالتين: دحض عقائد النصارى. وكثيرًا ما يكون موجهًا إلى المسلمين في الدرجة الأولى لتثبيت عقيدتهم وتحذيرهم من ضلال النصارى وتضليلهم، وإن احتوى على الدعوة إلى اعتناق الإسلام. وقد تكون بعض هذه المؤلفات أيضًا ردًّا على هجوم النصارى أو اليهود. انظر: «الفكر الإسلامي في الرد على النصارى»، د. عبدالمجيد الشرفي ص (١٤).

و١٩١٢ . واحتوت هذه الطبعات كلها بالإضافة إلى رسالة الهاشمي على رسالة الكندي إلى الهاشمي يرد بها عليه ويدعوه إلى النصرانية . ولا نعرف اسم المؤلفين إلا من خلال ما ذكره البيروني في «الآثار الباقية» ويفيد أنهما : عبدالله بن إسماعيل الهاشمي ، وعبدالمسيح بن إسحاق الكندي .

٢ ـ «الدِّين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ» لعلي بن ربّن الطبري (توفي بعد ١٨٥٥)، وهو أبو الحسن علي بن سهل بن ربّن الطبري، أسلم على يد المعتصم، وكتابه هذا أول كتاب وصلنا في الجدل الإسلامي المسيحي من تأليف نصراني نسطوري أسلم، وطبع الكتاب سنة ١٣٢٢هـ في مطبعة المقتطف بمصر، ثم نشر أيضًا في تونس مصورًا عن طبعة أوربية. وصدرت طبعة أخرى في بيروت ١٣٩٣هـ بتحقيق عادل نويهض. وتكررت طباعته بعد ذلك.

٣ ـ «الرد على النصارى» لترجمان الدين القاسم بن إبراهيم الحسني الرسّي (توفي نحو ٢٤٦هـ) وهو مؤسس مذهب القاسمية في الفقه ومن دعائم المدرسة الزيدية الشيعية. ونشر هذا الرد في مجلة الدراسات الشرقية في روما، سنة ١٩٢١م، حققه أ. دي ميتو. وترجمه إلى الإيطالية.

٤ ـ «مقالة في الرد على النصارى» كتبها أبو يوسف، يعقوب بن إسحاق الكندي (توفي سنة ٢٥٢هـ) وصل منها مقتطفات أثبتها يحيى بن عدي ليرد عليها. وقد نشرها أ. بيريني سنة ١٩٢٠م في مجلة الشرق المسيحي في أربع صفحات.

٥ ـ «الرد على النصارى» للجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (توفي ٢٥٥هـ) وهي رسالة نشرها يوشع فنكل ضمن (ثلاث رسائل للجاحظ)، القاهرة، ١٣٢٨هـ، وأعيد طبعها سنة ١٣٣٢هـ، ونشرها عبدالسلام

هارون في «رسائل الجاحظ» سنة ١٩٧٩م وحققها الدكتور محمد عبدالله الشرقاوي مع دراسة تحليلية، القاهرة، ١٤٠٥هـ. وقدم الأستاذ الدكتور إبراهيم عوض دراسة حول الرسالة بعنوان «مع الجاحظ في رسالة الرد على النصارى» ونشرها في القاهرة بمكتبة زهراء الشرق، ١٤١٩هـ.

٦ ـ «الكتاب الأوسط في المقالات» لأبي العباس عبدالله بن محمد الأنباري الناشىء الأكبر، ويعرف كذلك بابن شرشير (توفي ٢٩٣هـ) وقد وجدت مقتطفات من هذا الكتاب عند ابن العسال النصراني نشرها المستشرق يوسف فان غس في بيروت، ١٩٧١م مع كتابه «مسائل الإمامة».

٧ ـ «الرد على النصارى» لأبي عيسى محمد بن هارون الورّاق (توفى ٢٩٧هـ) ذكره ابن النديم في «الفهرست»، وله نسخ مخطوطة في مكتبات باريس والفاتيكان والقاهرة.

٨ ـ «أوائل الأدلة» لأبي القاسم البلخي الكعبي (توفي ٣١٩هـ) ومنه مقتطفات ضمن كتاب الفيلسوف اليعقوبي في رده عليها. ونشرها بولس سباط في القاهرة، ١٩٢٩م.

٩ ـ «كتاب التوحيد» لأبي منصور الماتريدي (توفي ٣٣٣هـ) وفيه عرض لآراء النصارى والرد عليها، وبذل قصارى جهده في بيان فساد العقيدة النصرانية التي تجعل المسيح إلهًا.

١٠ ـ «جواب على رسالة راهب فرنسا إلى المقتدر بالله حاكم سرقسطة» تأليف أبي الوليد الباجي (توفي ٣٧٣هـ). تحقيق د. محمد عبدالله الشرقاوي، طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض.

١١ ـ «رسالة الحسن بن أيوب إلى أخيه علي بن أيوب» (توفي نحو ٣٧٨هـ)، ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنه كان من علماء النصارى وأسلم على بصيرة بعد الخبرة بكتبهم ومقالاتهم، ونقل في «الجواب الصحيح» نبذًا من هذه الرسالة.

١٢ ـ «الرد على اليهود» تأليف محمد بن عبدالرحمن المصري (توفي ٣٨٠هـ) ذكره في كشف الظنون.

١٣ ـ «الإعلام بمناقب الإسلام» لأبي الحسن العامري (توفي ٣٨١هـ) وهو محاولة للتوفيق بين العقل والدين أو الفلسفة والشريعة، وكذلك مقارنة بين الإسلام واليهودية والنصرانية حتى تتبين فضيلة الإسلام عليها، وهو ليس خاصًا بالرد على النصارى، لكنه يتناول ذلك تبعًا. وطبع بتحقيق الدكتور أحمد عبدالحميد غراب في القاهرة، ١٩٦٧م.

١٤ ـ «التمهيد» لأبي الطيب الباقلاني (توفي ٤٠٣هـ) خصص الباب الثالث منه للكلام على النصارى والرد عليهم. وقد طبع أكثر من مرة.

١٥ ـ «تثبيت دلائل النبوة» للقاضي عبدالجبار بن أحمد الهَمَذاني (توفي ٤١٥هـ) تعرض فيه لعقائد النصارى وردّ عليهم في كثير من القضايا الاعتقادية، والكتاب مطبوع في بيروت بتحقيق الدكتور عبدالكريم عثمان. وللقاضي أيضًا كتاب «المغني» وكتاب «شرح الأصول الخمسة» وفيهما أيضًا كلام عن النصارى في جملة فصول وكلاهما مطبوع في القاهرة.

١٦ ـ «الفصل في الملل والأهواء والنِّحل» للإمام أبي محمد علي بن أحمد، المعروف بابن حزم الظاهري (توفي ٤٥٦هـ). وله طبعات كثيرة، ونشره محققًا الدكتور محمد إبراهيم نصر، والدكتور عبدالرحمن عميرة، دار عكاظ بجدة، ١٤٠٢هـ.

١٧ ـ «شفاء العليل في الرد على من حرَّف الإنجيل» لإمام الحرمين أبي المعالي الجُويني (توفي ٤٧٨هـ)، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض ١٤٠٤هـ.

١٨ ـ «الرد الجميل لإلهيَّة عيسى بصريح الإنجيل» لحجة الإسلام الغزالي (توفي ٥٠٥هـ) تحقيق روبيرشدياق، وترجم المقدمات التي كتبها شدياق وحققه وقدم له وعلق عليه الدكتور عبدالعزيز حلمي، ونشره مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، القاهرة ١٣٩٣هـ. وحققه أيضًا عبدالله الشرقاوي، ١٤٠٦هـ.

١٩ ـ «نفخ الروح والتسوية» للغزالي أيضًا، تحقيق أحمد حجازي السقا، مكتبة المدينة المنورة بالقاهرة ١٣٩٩هـ.

٢٠ ـ «بذل المجهود في إفحام اليهود» للسموأل بن يحيى بن عباس المغربي (توفي نحو ٥٧٠هـ) تحقيق عبدالوهاب طويلة، نشر دار القلم بدمشق ١٩٨٩م.

٢١ ـ «إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي ﷺ» تقديم وتحقيق د. محمد عبدالله الشرقاوي، نشر إدارة الرئاسة العامة للبحوث بالرياض ١٩٨٦م.

٢٢ ـ «كتاب الداعي إلى الإسلام» تأليف كمال الدين أبي البركات عبدالرحمن بن الأنباري النحوي (٥٧٧هـ) تحقيق سعيد باعجوان، بيروت، ١٤٠٩هـ.

٢٣ ـ «بين الإسلام والمسيحية» كتاب أبي عَبِيْدة الخزرجي (المتوفى

٥٨٢هـ) حققه وقدم له د. محمد شامة، القاهرة ١٩٧٢م. ونشره الدكتور عبد المجيد الشرفي بعنوان «مقامع الصلبان» في الشركة التونسية ١٩٧٥م.

٢٤ ـ «النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية» تأليف نصر بن عيسى بن سعيد المتطبب (توفي ٥٨٩هـ) كان نصرانيًا فأسلم. بحث فيه مذاهب النصارى واعتقاداتهم واضطرابهم في ذلك، وردّ عليهم قولهم بألوهية عيسى عليه السلام، وعرض لدلائل نبوة محمد ﷺ في التوراة والإنجيل. حققه الدكتور محمد عبدالله الشرقاوي، القاهرة ١٤٠٦هـ.

٢٥ ـ «مناظرة في الرد على النصارى» لأبي عبدالله فخر الدين محمد بن عمر الرازي (توفي ٦٠٦هـ)، تحقيق د. عبدالمجيد النجار، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٦م.

٢٦ ـ «تخجيل من حرّف الإنجيل» تأليف صالح بن الحسين الجعفري (توفي ٦٦٨هـ) تحقيق محمود عبدالرحمن قدح، مكتبة العبيكان، ١٤١٩هـ.

٢٧ ـ «الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة» للقَرافي، أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي (توفي ٦٨٤هـ). جمع فيه الشبهات التي يوردها أهل الكتاب والأسئلة التي يوردونها، وردَّ عليها، وتناول قضايا في النصرانية، وجمع البشارات الدالة على نبوة نبينا محمد ﷺ.

طبع بمطبعة الموسوعات بالقاهرة سنة ١٣٢٢هـ على هامش «الفارق بين المخلوق والخالق»، ثم طبع بتحقيق د. بكر زكي عوض، مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٧هـ.

٢٨ ـ «أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية» للقرافي أيضًا، تحقيق

عبدالرحمن دمشقية.

٢٩ ـ «منظومة في الردِّ على النصارى واليهود» لمحمد بن سعيد بن حماد الأبوصيري (توفي ٦٩٦هـ). تحقيق أحمد حجازي السقا، القاهرة ١٣٩٩هـ.

٣٠ ـ «الرد على اليهود» تأليف علاء الدين علي بن محمد عبدالرحمن الباجي الشافعي (ت٧١٤هـ). ذكره في كشف الظنون.

٣١ ـ «الانتصارات الإسلامية في كشف شبهة النصرانية» تأليف سليمان بن عبدالقوي الطوفي (ت ٧١٦هـ) تحقيق سالم محمد القرني، طبع في مكتبة العبيكان بالرياض.

٣٢ ـ «الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، وهو كتاب ضخم في أربع مجلدات، طبع في القاهرة بمطبعة المدني ثم صور عنها عدة مرات، وحقق في الرياض وطبع في سبع مجلدات.

٣٣ ـ «تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب» لأبي محمد عبدالله الترجمان الميُورَقي (ت ٨٣٢هـ). طبعة دي إيبلزا في حوليات الجامعة التونسية عام ١٩٧٥م. وطبع في روما سنة ١٩٧١م، وفي القاهرة ١٨٩٥م. ثم حققه الأستاذ عمر وفيق الداعوق لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى بمكة المكرمة، وطبع في بيروت ١٤٠٨هـ.

٣٤ ـ الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام» للقرطبي (ت ٩٢٧هـ) حقق قسم منه سنة ١٩٧٠م لنيل الدكتوراة وقسم آخر منه ١٩٨١م في ستراسبورغ، ثم نشره كاملاً أحمد حجازي السقا في القاهرة ١٩٨٠م.

٣٥ ـ «البحث الصريح في أيِّما هو الدين الصحيح» للشيخ زيادة بن يحيىٰ الرسِّي

(القرن الحادي عشر) تحقيق سعود الخلف، طبع الجامعة الإسلامية ١٤٢٣هـ.

٣٦ ـ «قبس الأنوار في الرد على النصارى» تأليف عبدالله العمري الطرابلسي (توفي ١١٥٢هـ). ذكره في «إيضاح المكنون».

٣٧ ـ «منحة القريب المجيب في الرد على عُبَّاد الصليب» للشيخ عبدالعزيز بن حمد بن ناصر آل معمَّر (توفي ١٢٤٤هـ). طبع في القاهرة سنة ١٣٥٨هـ، ثم نشرته دار ثقيف للنشر والتأليف بالطائف، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ.

٣٨ ـ «المنتخب الجليل من تخجيل من حرَّف الإنجيل» لأبي الفضل المالكي المسعودي (توفي ٩٤٢هـ) طبع بمطبعة التمدن بمصر ١٣٢٢هـ، وحققه رمضان الصفناوي مع آخرين، دار الحديث بالقاهرة، ١٤١٨هـ.

٣٩ ـ «إظهار الحق»، للشيخ رحمة الله العثماني الهندي (توفي ١٣٠٨هـ)، وله طبعات كثيرة، وحققه الدكتور محمد أحمد ملكاوي، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض، ١٤١٠هـ.

٤٠ ـ «الفارق بين المخلوق والخالق» تأليف عبدالرحمن الباجه جي زاده (توفي ١٣٣٠هـ) طبع بالقاهرة ١٣٢٣هـ. ثم أعيد طبعه فيها مصورًا عنها بدار الكتاب الإسلامي. ثم نشر في عمان بالأردن بمكتبة دار عمار.

ب ـ ومن الكتب المعاصرة:

كتب كثير من العلماء المعاصرين بحوثًا وردودًا على النصارى واليهود، وفندوا شبهاتهم، وفي الجامعات والمعاهد رسائل جامعية في هذا لها أهميتها. وفي هذه الفقرة إشارة إلى بعض هذه الكتب والمؤلفات:

١ ـ الأب فوكو في مواجهة الإسلام، للأستاذ علي مراد، دار

المنشورات العربية، بيروت.

٢ ـ الأجوبة الجليّة في دحض الدعوات النصرانية، محمد بن علي عبدالرحمن الدمشقي الطيبي.

٣ ـ الأدلة العقلية في الردِّ على المسيحية، محمد أحمد الحنفي، طبع القاهرة.

٤ ـ أدلة اليقين، رد على كتاب (ميزان الحق)، عبدالرحمن الحريري، مطبعة الإرشاد، القاهرة.

٥ ـ إزالة الأوهام في الرد على كتاب (ينابيع الإسلام) لبعض النصارى، تأليف الشيخ أحمد بن محمد علي الشاهرودي.

٦ ـ الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية، إبراهيم خليل أحمد، مكتبة الوعي العربي، القاهرة ١٩٨٢م.

٧ ـ إسرائيل والتلمود: دراسة تحليلية، للأستاذ إبراهيم خليل أحمد، مكتبة الوعي العربي، القاهرة ١٤٠٣هـ.

٨ ـ الإسلام والديانات السماوية، للأستاذ محمد حسين الذهبي، طبع دار الإنسان في القاهرة ١٩٧٩م.

٩ ـ الإسلام والرد على اللورد كرومر، محمد توفيق صدقي، نشر تباعًا في جريدة المؤيد ـ بمصر.

١٠ ـ الإسلام والرد على منتقديه، للشيخ محمد عبده حسن خير الله المصري، مطبعة السعادة بمصر.

١١ ـ الإسلام والمسيحية في الميزان، شريف محمد هاشم، مؤسسة الوفاء بيروت ـ لبنان.

١٢ ـ الإسلام ومستر سكوت، للشيخ علي أحمد الجرجاوي طبع بمصر.

١٣ ـ أصول النصرانية في الميزان، محمد سيد أحمد المسير، طبع دار الطباعة المحمدية الأزهر، القاهرة ١٩٨٨.

١٤ ـ أضواء على المسيحية، متولي يوسف شلبي، عام ١٩٦٨م.

١٥ ـ الأناجيل بين انقطاع السند وتناقض المتن، محمد عبدالله الشرقاوي، الرياض ١٤٠٣هـ.

١٦ ـ الأناجيل: دراسة مقارنة، أحمد طاهر، دار المعارف بمصر.

١٧ ـ البرهان الصحيح في بشائر النبي والمسيح، أحمد أفندي ترجمان، طبع بمصر مطبعة المنار سنة ١٣٢٩.

١٨ ـ التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة، سارة حامد العبادي رسالة ماجستير بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، طبع عام ١٤٢٨هـ.

١٩ ـ تناقض العهدين للسيد محمد مهدي الموسوي القزويني، مطبوع في العراق.

٢٠ ـ تنزيه الأنبياء: في الرد على النصارى، للشيخ مصطفى حسين البغدادي.

٢١ ـ تهافت قضية التجسد في العقيدة النصرانية، ليلى زكي قطب، دار الكتاب الجامعي القاهرة ١٩٨٧م.

٢٢ ـ التوراة بين الوثنية والتوحيد، للأستاذ سهيل ديب دار النفائس ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

٢٣ ـ الجواب الفسيح لما لَفَّقَه عبدُ المسيح، رد على أكاذيب عبد المسيح الكندي، لنعمان محمود الآلوسي، طبع في لاهور سنة ١٢٥٢.

٢٤ ـ جوهر الإيمان في صحيح الأديان (١ ـ ٢)، صلاح العجماوي، ١٤٠٩هـ.

٢٥ ـ حديث مع الدعاة، مناظرة دينية مع بعض الدعاة البروتستانتية في بغداد، محمد علي هبة الدين.

٢٦ ـ حوار بين مسيحي ومسلم، محمد فؤاد الهاشمي، دار الرسالة ـ القاهرة ١٩٨٤م.

٢٧ ـ حوار عقائدي بين مسلم ونصراني، ترجمة وإعداد محمد عبدالله، عالم المعرفة للنشر والتوزيع بجدة.

٢٨ ـ حول القرآن الكريم والكتاب المقدس، هاشم جودة، مطبعة الأمانة بمصر ١٤٠٤هـ.

٢٩ ـ رد مفتريات على الإسلام، عبد الجليل شلبي الكويت ١٤٠٢هـ.

٣٠ ـ الردود القرآنية على الكتب المسيحية، علي نقي بن أبي الحسن اللكهنوي الهندي.

٣١ ـ رسالة في الرد على مسيو هانتو، للشيخ محمد عبده المصري طبعت بمصر المحميّة.

٣٢ ـ السؤال العجيب في الرد على أهل الصليب، نظم الشيخ أحمد بن علي المليجي مطبعة التمدّن بمصر سنة ١٣٢٢هـ.

٣٣ ـ سلاسل المناظرة الإسلامية بين شيخ وقسيس، عبدالله العلمي، ١٣٩٠هـ.

٣٤ ـ شبهات النصارى وحجج الإسلام لمحمد رشيد رضا، مطبعة المنار في القاهرة.

٣٥ ـ الشهاب الثاقب (في أحقية الدين الإسلامي وإبطال غيره) للعلامة السيد محمود بن يوسف الحسيني التبريزي.

٣٦ ـ شهادة الإنجيل على أن عيسى عبدالله ورسوله. . . عبدالرحمن عبدالخالق، الكويت ١٤١٤هـ.

٣٧ ـ الصَّلب وهم أم حقيقة، أحمد ديدات، دار المنار بالقاهرة ١٤١٠هـ.

٣٨ ـ صواعق الرحمن في الرد على اليهود وإثبات تحريف توراتهم، للسيد أحمد بن زين العابدين.

٣٩ ـ العقائد الوثنية في الديانة المسيحية، للأستاذ محمد طاهر التنير، طبع بالقاهرة وبالكويت.

٤٠ ـ عقيدة الصَّلب والفدا، لمحمد رشيد رضا، مطبعة المنار بمصر.

٤١ ـ عقيدتنا التثليث والصلب وموقف الإسلام منهما، يونس نوري، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى بمكة المكرمة لعام ١٤٠٣هـ.

٤٢ ـ القول المبين في الرد على المبشرين، محمد طلعت، مطبعة التقدم العلمية القاهرة ١٣٣٠.

٤٣ ـ الكتاب المقدس تحت المجهر، للأستاذ عودة مهاوش الأردني، طبع دار أنصاريان بإيران ١٤١٢.

٤٤ ـ كفاية الطالبين لرد شبهات المبشرين، محمد عبدالسميع، طبع في مطبعة أبي الهول بمصر سنة ١٣٣٠ .

٤٥ ـ كنتُ نصرانيًا، للأستاذ واصف الراعي، دار الراية للطباعة والنشر، الرياض المملكة العربية السعودية ١٩٨٧م .

٤٦ ـ لسان الصدق رد على كتاب (ميزان الحق لأحد النصارى) للشيخ علي بن عبدالله البحراني طبع في القاهرة سنة ١٣٢٠ .

٤٧ ـ مجد المسيح (في تنزيهه عن الألوهية والمعبودية كما تزعمه النصارى) لحسين قلي الداغستاني، طبع في بغداد ١٣٢٤ .

٤٨ ـ محاضرات في النصرانية للأستاذ محمد أبو زهرة، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٦١م .

٤٩ ـ محمد في الكتاب المقدس، البرفسور القسيس دافيد بنجامين كلداني طبع دار الضياء للنشر والتوزيع في قطر ١٩٨٥م .

٥٠ ـ مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، أحمد ديدات، دار الفضيلة بالقاهرة ١٤٠٩هـ .

٥١ ـ المسيح الدجال . . قراءة سياسية في أصول الديانات الكبرى : رد على النصارى، سعيد أيوب، دار الهادي، بيروت ١٩٩١ .

٥٢ ـ المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبدالوهاب، مكتبة وهبة بمصر ١٣٩٨م .

٥٣ ـ المسيح في المفهوم المعاصر، عصام الدين حَفني، دار الطليعة بيروت، ١٩٧٩م .

٥٤ ـ موقف الإسلام من كتب اليهود والنصارى للأستاذ مصطفى الرفاعي اللبّان، طبع المطبعة السلفية، بالقاهرة ١٣٥٣ .

٥٥ ـ النصرانية والإسلام، محمد عزت الطهطاوي، دار الأنصار بالقاهرة ١٩٧٧م.

٥٦ ـ نظرة في كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية، محمد توفيق صدقي، مطبوع في مصر.

٥٧ ـ يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، رؤوف شلبي، دار الاعتصام، ١٤٠٠هـ.

٥٨ ـ يد الارتباط في الرد على الأقباط، عبد العزيز جاويش، المطبعة اليوسفية، القاهرة.

٥٩ ـ اليهود في القرآن والسنة، د. محمد أديب الصالح، دار الهدىٰ، الرياض، ١٤١٣هـ.

ثانيًا: علاقة الإسلام بالشرائع الأخرى

شاء الله عز وجل أن تكون رسالة محمد ﷺ خاتمة الرسالات السماوية، والتي اختصت عرفًا بمدلول كلمة «الإسلام» كما أن كلمة «اليهودية» أو «الموسوية» تخص شريعة موسى، عليه السلام، وما اشتق منها، وكلمة «النصرانية» أو «المسيحية» تخص شريعة عيسى عليه السلام وما تفرع عنها.

وهذه الرسالة التي أنزلها الله على نبينا محمد ﷺ بلغت ذروة الكمال، وجاءت دعوة إنسانية عالمية، لا تخاطب قومًا بأعيانهم، ولا جنسًا بذاته، رضيها الله تعالى للناس دينًا، فكانت هي «الدين» الكامل الذي أتمَّ الله تعالى به علينا نعمته ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة/ ٣].

وبعد أن كان الموكب الكريم من الرسل والأنبياء ـ عليهم السلام ـ يرفع راية التوحيد، ويهتف كلٌ بقومه: ﴿ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [نوح/ ٢]، ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[الأعراف/ ٥٩] جاء خاتم النبيين وجامع كلمة المرسلين فجمع الرايات كلها تحت راية واحدة، وجعل ينادي الناس جميعًا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة/ ٢١]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [النساء/ ١٧٤]، ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢]، بل هو بلاغ لكل من بلغه خبره وانتهى إليه أمره في عصره وفي سائر العصور إلى يوم القيامة: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام/ ١٩]، والجن والإنس في

هذا الخطاب والبلاغ سواء[1] ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ [الأنعام/ ١٣٠، الرحمن/ ٣٣].

وقد فصّل الله تعالى في القرآن الكريم سمات هذه الدعوة العالمية العامة، وعرضها على أعين الناس في كثير من آياته، فقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٥٨]، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ/ ٢٨]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ [النساء/ ١٧٠]، ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان/ ١].

وأشار رسول الله ﷺ، إلى عموم بعثته وعالمية دعوته فقال: «أُعطيت خمسًا لم يعطهنَّ أحد قبلي: كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وأُحلّت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض طيِّبة وطهورًا ومسجدًا، فأيّما رجل أدركته الصلاة صلّى حيث كان، ونُصرت بالرُّعب بين يدي مسيرة شهر، وأُعطيت الشفاعة»[2].

---

(١) للإمام ابن تيمية رسالة عنوانها «إيضاح الدلالة في عموم الرسالة» في الفتاوى (١٩/ ٩ ـ ٦٥)، وقد نشرها الشيخ محمد منير الدمشقي في المجلد الثاني من «مجموعة الرسائل المنيرية». وانظر أيضًا: «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (١/ ١٦٦) وما بعدها.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٤٣٦) في التيمم، ومسلم واللفظ له (١/ ٣٧٠) كتاب =

وقال عليه الصلاة والسلام: «فُضِّلت على الأنبياء بست: أُعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرُّعب، وحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورًا ومسجدًا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون»[1].

خاتم النبيين:

ومن ثم كان محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، وكانت رسالته خاتمة الرسالات: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب/ ٤٠].

ويصور الرسول الكريم ﷺ ختم رسالته للرسالات السابقة، وكيف أتمَّ البناء الذي تعاقبت عليه رسل الله الكرام، فيقول: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتًا ، فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية [من زواياه] فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلَّا وضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»[2].

ودعوته ناسخة للرسالات السابقة:

وإذا كان محمد ﷺ قد أرسل من عند الله تعالى بدين بلغ ذروة الكمال الذي لا كمال بعده، وتوجه الخطاب فيه للعالمين كافة، وختم

= المساجد وفي رواية أخرى بلفظ «وأُرسلت إلى الخلق كافة».

(١) أخرجه مسلم (١/ ٣٧١) في المساجد.

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٥٥٨) في المناقب، ومسلم (٤/ ١٧٩٠) في الفضائل. ولأبي الأعلى المودودي كتاب ختم النبوة في ضوء الكتاب والسنة، وللندوي: النبي الخاتم.

الله به الرسالات، فإن النتيجة المنطقية اللازمة لهذا الكمال ولتمام النعمة أن تنقطع صلة الإنسانية عن سائر الرسالات والنبوات السابقة في طاعتها واتباعها، مع الإيمان بأصولها المنزلة ـ لا بما آلت إليه بعد التحريف على يد الأتباع.

فكل ماجاء به الأنبياء السابقون وعرضوه على الإنسانية ودَعَوْها إلى اتّباعه، قد نُسخ برسالة محمد ﷺ، وما من شك أن الإيمان بنبوتهم وصدق دعوتهم على وجه الإجمال لازم لابد منه، إذ ما كانوا إلا دعاة إلى الإسلام، وما التصديق بدعوتهم إلا تصديق بالإسلام، ولكن مع ذلك انقطعت بهم صلة الإنسانية في طاعتها واتباعها فعلاً، وإنما ارتبطت برسالة محمد ﷺ وتعليمه وأسوته الحسنة؛ لأن الذي يقتضيه المبدأ:

أولاً: أن لا تعود الإنسانية بحاجة إلى المنسوخ بعد أن جاءها الكامل.

وثانيًا: أنه قد لعبت يد التحريف والإهمال بسيرة وتعاليم الأنبياء السابقين[1] مما لم يعد من الممكن، لأجله، أن تتبعهم الإنسانية فعلاً.

ومن هنا، فإن القرآن الكريم حيثما يأمر بطاعة الرسول واتباع أحكامه وأوامره، لا يأتي بكلمة «الرسول» و«النبي» إلا معرّفتين بالألف

(١) اقرأ ـ إن شئت ـ «إظهار الحق» للشيخ رحمة الله العثماني ٢٠٧ ـ ٢٩٨، «الرسالة الخالدة» للسيد سليمان الندوي ٤١ ـ ٦٨، «المسيح في مصادر العقائد المسيحية» للمهندس أحمد عبدالوهاب ٧٧ وما بعدها، «محاضرات في النصرانية» للشيخ محمد أبي زهرة ٧٧ وما بعدها، «الجواب الصحيح» لابن تيمية (١/ ٣٦٢ وما بعدها و٢/ ٣ ـ ٢٧).

واللام ـ لتكونا خاصتين بمحمد ﷺ[1].

يقول الله تعالى مثلاً: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٢]، ويقول: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء/ ٥٩]، ويقول أيضًا: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء/ ٨٠].

والقرآن الكريم مهيمن على الكتب السابقة:

وكذلك فإن القرآن الكريم قد جعله الله تعالى مهيمنًا على ما سبقه من الكتب السماوية، وهو كلمة الله الأخيرة لهذه البشرية، التي يجب أن يفيءَ إليها الناس كلهم حتى يكونوا مؤمنين، ومن ثم فكل اختلاف يجب أن يُرد إلى هذا الكتاب ليفصل فيه، سواء كان هذا الاختلاف في التصور الاعتقادي بين أصحاب الديانات السماوية، أو في الشريعة التي جاء هذا الكتاب بصورتها الأخيرة، أو كان هذا الاختلاف بين المسلمين أنفسهم، قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة/ ٤٨].

وكما استعمل الله تعالى كلمتي «الرسول» و«النبي» معرفتين عند الأمر بطاعتهما، لتكون خاصة بمحمد ﷺ ودالة على كماله، كذلك جاء لفظ «الكتاب» في هذه الآية للدلالة على القرآن الكريم الدلالة نفسها، فهو الكتاب الكامل الجدير بأن يسمى كتابًا، وأن ينصرف إليه معنى

---

(١) انظر: «الإحكام في أصول الأحكام» ـ لابن حزم (٢/ ٧٣٢ ـ ٧٤٣)، «كشف الأسرار» للبخاري (٣/ ١٥٨ ـ ١٦٢)، «الحضارة الإسلامية» للمودودي ١٩٢ ـ ١٩٦، «الأسفار المقدسة في الأديان السابقة» د. علي عبدالواحد وافي ٨٧ ـ ٩٢.

الكتاب الإلهي الكامل الصادق عند الإطلاق، لحيازته جميع الأوصاف الكمالية لجنس الكتاب السماوي، وتفوّقه على بقية أفراده، بعد أن استعمل في الآيات السابقة لهذه الآية لفظ التوراة والإنجيل للكتابين اللذين أنزلهما الله على موسى وعيسى عليهما السلام[١].

ليظهره على الدين كله:

وقد أخبر الله سبحانه ووعد بإظهار هذا الدين على سائر الأديان فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة/ ٣٣]. فالله تعالى يُعلي هذا الدين ويرفع شأنه على جميع الأديان بالحجة والبرهان والهداية والعرفان، والعلم والعمران، وكذا السيادة والسلطان، ولم يكن لدين من الأديان مثل هذا التأثير الروحي والعقلي والمادي والاجتماعي والسياسي إلا للإسلام[٢]. ولقد صح عن النبي عليه الصلاة والسلام الوعد بإظهار الدين ونصره والتمكين لأهله[٣]، وقد تحقق هذا الوعد الصادق بإذن الله.

دعوة أهل الكتاب للإيمان بمحمد:

ولأجل هذا فإن الله تعالى يأمر بالإيمان بمحمد ﷺ، وطاعته واتباع شريعته، حتى الأمم المؤمنة برسالة نبي من الأنبياء السابقين فإن القرآن

---

(١) انظر: «الظلال» (٦/ ٩٠٢)، «تفسير أبي السعود» (٢/ ٦٧)، «تفسير المنار» لرشيد رضا (٦/ ٤١٠).

(٢) انظر تفسير المنار لرشيد رضا (١٠/ ١٧٥).

(٣) ذكر الإمام ابن كثير جملة من هذه الأحاديث في التفسير (٢/ ٢٥٠ ـ ٢٥١).

يوجه إليها هذا الخطاب أيضًا، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة/ ١٥ ـ ١٦].

تهديد ووعيد..

ثم يأتي التهديد والوعيد الشديد لمن يعرض منهم عن الإيمان بما نزل الله تعالى على محمد ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء/ ٤٧].

وتأتي سورة البينة لتقرر ما كان عليه أهل الكتاب والمشركون الذين كفروا برسالة محمد ﷺ من الانحراف عن دين الله ومنهجه، وتقرر أنهم كانوا يُعلِّقون تحولهم وانفكاكهم عما هم عليه من الانحراف والكفر على بينة واضحة؛ هي بعثة نبي جديد، تكون سبب هدايتهم وتحويلهم عما هم عليه من ضلال وانحراف. ولكن عندما جاءتهم الهداية ممثلة بالكتاب المنزل: القرآن الكريم، والنبي المرسل، محمد ﷺ كفروا بهما، واستمروا على كفرهم وانحرافهم، فاستحقوا أن يدمغهم القرآن الكريم بأنهم ﴿هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة/ ٦] أما الذين آمنوا وصدقوا، في مقابل أولئك الذين كفروا فأولئك: ﴿هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة/ ٧ ـ ٨].

وجاءت أحاديث النبي ﷺ تبين هذا المعنى، وتوجب على كل من يسمع به أن يؤمن به ويتبعه، ويترك ما كان من شريعة سابقة انتهى العمل بها بعد مجيء محمد خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام، فقال ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ـ يهودي أو نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»[١].

ومؤمن أهل الكتاب، الذي يتبع محمدًا ﷺ له أجره مرتين، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب، آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتبعه وصدّقه، فله أجران، وعبد مملوك أدّى حق الله تعالى وحق سيده، فله أجران. ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاءها، ثم أدَّبها فأحسن أدبها، ثم أعتقها وتزوجها، فله أجران»[٢].

وعندما ينزل عيسى عليه السلام في آخر الزمان بين يدي الساعة، ينزل حاكمًا بشريعة محمد ﷺ، فما عذر أهل الكتاب في عدم إيمانهم به واتباعهم له ﷺ؟ فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والذي نفسي بيده ليوشكنّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية[٣]، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ١٣٤) في الإيمان.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ١٩٠) في العلم، ومسلم (١/ ١٣٤ ـ ١٣٥) في الإيمان.

(٣) أي لا يقبلها، ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام، ومن بذل الجزية منهم لم يكفّ عنه، بل لا يقبل إلا الإسلام أو القتل.

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ٤١٤) في البيوع، ومسلم (١/ ١٣٥ ـ ١٣٦) في الإيمان.

مواقف إيجابية حكاها القرآن الكريم:

ولكن فريقًا من أهل الكتاب، من الذين فتح الله قلوبهم للحق والإيمان، وأبصارهم للهدىٰ والنور، فأدركوا حقيقة الدعوة التي انتظروها والنبي الذي كانوا يستفتحون به، هذا الفريق قد آمن فعلاً بمحمد ﷺ واتبعه، ولِمَ لا يؤمنون؟ وقد قامت الأدلة كلها على صدق هذا النبي، بعد أن بشرت به كتبهم ورأوا أعلام نبوته ﷺ وقد حكى الله تعالى ذلك وسجَّله فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾[1] [الإسراء/ ١٠٧ ـ ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[2] [القصص/ ٥٢ ـ ٥٥]. . . في آيات كثيرة في هذا المعنى، وسيأتي بعضها أيضًا في مناسبات أخرى.

وحفظها الواقع التاريخي:

وحفظ لنا الواقع التاريخي تصديق ذلك، بإسلام أكثر أهل العقول والأحلام والعلوم ممن لا يحصيهم إلا الله، من أولئك الذين عرفوا الحق من أهل الكتاب، فرقعة الإسلام إنما انتشرت في الشرق والغرب بإسلام أكثر الطوائف، فدخلوا في دين الله أفواجًا، حتى صار الكفار معهم تحت

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٥٣ ـ ١٥٤)، ابن كثير (٣/ ٦٩).

(٢) انظر: البغوي مع الخازن (٥/ ١٤٧)، وابن كثير (٣/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥).

المذلة والصَّغار، والذين أسلموا من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين أكثر من الذين لم يسلموا، وإنما بقي منهم أقل القليل، وقد دخل في دين الله من ملوك الطوائف ورؤسائهم في حياة رسول الله ﷺ خلق كثير[1]».

وفي العصر الحديث:

وفي العصور الحديثة، نجد أمثلة كثيرة على ذلك، من أولئك الذين يدخلون في دين الإسلام ولا يستكبرون عن عبادة الله، وهم من المقدّمين في قومهم النصارى أو اليهود؛ فيهم علماء دينهم، ورجال الدولة والسياسة، وفيهم العلماء ورجال الفكر الثاقب، وفيهم الكتاب والأدباء والمصلحون والوعاظ ورجال الاجتماع وغيرهم..[2].

لا يتحقق إيمان اليهود والنصارى إلا بإيمانهم بمحمد ﷺ:

ولا يتحقق أصلاً إيمان اليهود والنصارى إلا بإيمانهم بمحمد ﷺ واتباعه في دينه الذي أنزله الله، وإلا فما هم بمؤمنين ولا مسلمين، فاليهود الذين آمنوا بموسى عليه السلام وصدقوا بكتابه، وآمنوا بالرسل قبله كانوا مسلمين لله حتى أنزل الله شريعة عيسى، فوجب عليهم ـ ليحققوا إيمانهم ـ أن يؤمنوا به ويتبعوه وينفكّوا عن الشريعة السابقة، وكل من اليهود والنصارى عند بعثة محمد ﷺ ـ وجب عليهم ـ ليكونوا

---

(١) انظر فيما سيأتي ص (٥٥) وما بعدها من نص المؤلف رحمه الله.

(٢) انظر أمثلة عن هؤلاء وتراجمهم في كتاب: «لماذا أسلمنا» وهو مجموعة مقالات لنخبة من رجال الفكر عن سبب إسلامهم، ترجمة مصطفى جبر، وكتاب: رجال ونساء أسلموا تأليف كامل عرفات العش.

مسلمين أن يؤمنوا بنبوة محمد ﷺ ورسالته، فإن لم يفعلوا فما هم بمؤمنين ولا مسلمين، وذلك أنهم أنكروا نبوة رسول من عند الله تعالى ورفضوا الإيمان برسالة أنزلها الله تعالى.

الإيمان بمحمد ﷺ شرط للإيمان بنبوة الأنبياء جميعًا:

فالإيمان بنبوة محمد ﷺ شرط للإيمان بنبوة الأنبياء جميعًا عليهم السلام، إذ لا يمكن الإيمان بنبي من الأنبياء أصلاً مع جحود نبوة محمد رسول الله ﷺ، ومن جحد نبوته فهو لنبوة غيره من الأنبياء أشد جحدًا. وهذا يتبين بوجوه:

الوجه الأول: أن الأنبياء المتقدمين بشَّروا بنبوته، وأمروا أممهم بالإيمان به، فمن جحد نبوته فقد كذّب الأنبياء قبله فيما أخبروا به، وخالفهم فيما أمروا وأوصوا به من الإيمان به. والتصديق به لازم من لوازم التصديق بهم، وإذا انتفى اللازم انتفى ملزومه قطعًا، وبيان الملازمة هي الوجوه الكثيرة التي تلي هذا مباشرة، وهي تفيد بمجموعها القطع على أنه ﷺ قد ذكر في الكتب الإلهية على ألسن الأنبياء.

الوجه الثاني: أن دعوة محمد ﷺ هي دعوة جميع المرسلين قبله، من أولهم إلى آخرهم، فالمكذب بدعوته مكذبٌ بدعوة إخوانه كلهم، وهذا التكذيب كفر، فوجب الإيمان بدعوته عليه السلام واتباعه.

الوجه الثالث: أن الآيات والبراهين التي دلت على صحة نبوته وصدقه - عليه الصلاة والسلام - أضعاف أضعاف آيات من قبله من الرسل[1]، فليس لنبي من الأنبياء آية توجب الإيمان به إلا ولمحمد ﷺ

---

(١) اقرأ في دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام: الجزء الرابع من الجواب الصحيح =

مثلها أو ما هو في الدلالة مثلها، وإن لم يكن من جنسها، فآيات نبوته عليه الصلاة والسلام أعظم وأكبر، والعلم بنقلها قطعي، لقرب العهد وكثرة النّقلة واختلاف أمصارهم وأعصارهم واستحالة تواطئهم على الكذب، فالعلم بآيات نبوته كالعلم بنفس وجوده وظهوره، فإذا جاز القدح في ذلك كله، فالقدح في وجود عيسى وموسى وآيات نبوتهما أشد جوازًا، وإن امتنع القدح فيهما وفي آيات نبوتهما فامتناعه في محمد ﷺ وآيات نبوته أشدّ[1].

ولو لم يظهر محمد لبطلت نبوة الأنبياء:

ولو لم يظهر محمد ﷺ لبطلت نبوة سائر الأنبياء، فظهور نبوته تصديق لنبواتهم وشهادة لها بالصدق، فإرساله من آيات الأنبياء قبله، وقد أشار الله سبحانه إلى هذا المعنى بعينه في قوله: ﴿ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات/ ٣٧] فإن المرسلين بشروا به وأخبروا بمجيئه، فمجيؤه هو نفس صدق خبرهم، فكان مجيؤه تصديقًا لهم، إذ هو تأويل ما أخبروا به، ولا تنافي بين هذا وبين القول الآخر: إن تصديقه المرسلين شهادته بصدقهم وإيمانه بهم ، فإنه صدقهم بقوله ومجيئه، فشهد بصدقهم بنفس مجيئه، وشهد بصدقهم بقوله، ومثل هذا قول المسيح فيما حكاه الله تعالى في القرآن الكريم عنه: ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [الصف/ ٦] فإن التوراة لما بشرت به

= لابن تيمية، «تثبيت دلائل النبوة» للقاضي عبد الجبار بن أحمد، «دلائل النبوة» للبيهقي، و«أعلام النبوة» للماوردي. و«إظهار الحق» للشيخ رحمة الله. وسيذكر المصنف رحمه الله طائفة من الأدلة.

(١) انظر فيما سيأتي كلام المصنف هذا في ص (٤٢٩) وما بعدها.

وبنبوته كان نفس ظهوره تصديقًا لها، ثم بشَّر برسول يأتي من بعده، فكان ظهور الرسول المبشر به تصديقًا له، كما كان ظهوره تصديقًا للتوراة، فعادة الله في رسله: أنّ السابق يبشر باللاحق، واللاحق يصدق السابق، فلو لم يظهر محمد بن عبدالله ﷺ ولم يبعث لبطلت نبوة الأنبياء قبله[1].

عهد وميثاق. . .

ومن حكمة الله سبحانه أنه ما بعث نبيًا إلا وقد أخذ عليه وعلى أتباعه العهد أن يؤمنوا بالنبي الذي يأتي بعده ويصدقوه وينصروه ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران/ ٨١ ـ ٨٢] فقد أخبر الله تعالى أنه أخذ الميثاق من أنبيائه بتصديق بعضهم بعضًا، وأخذ الأنبياء على أممهم وأتباعهم الميثاق بنحو الذي أخذ عليها ربها من تصديق أنبياء الله ورسله بما جاءتها به؛ لأن الأنبياء عليهم السلام أرسلوا بذلك إلى أممهم، ولم يدّع أحد ممن صدّق المرسلين أن نبيًا أُرسل إلى أمة بتكذيب أحد من أنبياء الله عز وجل وحججه في عباده، بل كلها ـ وإن كذب بعض الأمم بعضَ أنبياء الله بجحودها نبوته ـ مقرّة بأنّ مَنْ ثبتت صحة نبوته ـ فعليها الدينونة بتصديقه، فذلك ميثاق مقرٌّ به جميعهم[2].

فمهما آتى الله أحدَهم من كتاب وحكمة وبلغ أي مبلغ، ثم جاء رسول من بعده لابد أن يؤمن به وينصره، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم

---

(١) ص (٣٧١ ـ ٣٧٢) فيما سيأتي.

(٢) تفسير الطبري (٦/٥٥٧) بتحقيق محمود شاكر.

والنبوة من اتباع من بُعث بعده ونصرته، وها قد بعث الله تعالى محمدًا ﷺ، وجاء مصدقًا لما بين يديه من الكتاب[1]، وقد أخذ الله الميثاق والعهد على أهل الكتاب أن يؤمنوا به، فوجب الوفاء بذلك الميثاق والعهد، واكتفى ـ سبحانه ـ بذكر الأنبياء في الآية لأن العهد على المتبوعين عهد على الأتباع، ولأنه إذا وجب على الأنبياء الإيمان به ونصره فوجوب ذلك على من اتبعهم أولى وأحرى.

وهذا هو معنى ما روي عن علي بن أبي طالب وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ حيث قالا: ما بعث الله نبيًا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق: لئن بعث الله محمدًا وهو حي ليؤمِننَّ به ولينصرنَّه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته: لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنُنَّ به ولينصُرُنّه[2].

بشارات الكتب السابقة بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام:

وليس لأهل الكتاب أي عذر في عدم إيمانهم بمحمد ﷺ، وقد

---

(١) والمراد بالتصديق لما معهم ـ مع مخالفة شرعه عليه الصلاة والسلام لشرعهم ـ حصول الموافقة في التوحيد والنبوات وأصول الشرائع، فأما تفاصيلها، وإن وقع الخلاف فيها، فذلك في الحقيقة ليس بخلاف، لأن جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام متفقون على أن الحق في زمان موسى عليه الصلاة والسلام ليس إلا شرعه، وأن الحق في زمان محمد عليه الصلاة والسلام ليس إلا شرعه، فهذا وإن كان يوهم الخلاف إلا أنه في الحقيقة وفاق. وكذلك كان ظهوره عليه الصلاة والسلام على ماهو مطابق لوصفه في كتبهم ـ كما سيأتي ـ تصديقًا لما معهم. انظر: «تفسير الفخر الرازي» (٨/ ١٣١).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٥٥٥ ـ ٥٥٦)، ابن كثير (١/ ٣٧٦)، «روح المعاني» (٣/ ٢٠٩)، البغوي (١/ ٣١٣)، «الرد على المنطقيين»: ٤٥١.

بشرت كتبهم بنبوته وأشارت إلى ذلك[1]، نجد هذا حكاية عنهم في القرآن الكريم، ونجد له شاهدًا من الواقع التاريخي منذ عهد الرسول ﷺ، ويتفق هذا كله مع نصوص كتبهم التي يعتمدون هم عليها، سواء في العهد القديم أو الجديد. وإليك شيئًا من البيان لذلك كله:

حكى الله تعالى ذلك في القرآن الكريم:

أما القرآن الكريم، فقد حكى الله تعالى: أن التوراة والإنجيل قد احتوى كل منهما على إشارات إلى بعثة محمد ﷺ ونبوته وصفته وصفة أصحابه. فقال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف/ ١٥٧].

وهم يعلمون صدقه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وصدق الكتاب الذي أنزل عليه:

فترى علماءهم الصادقين يقرُّون بذلك، وإنهم ليعلمون أنه الحق من ربهم فيصدقونه، وإذا تلا عليهم الآيات تراهم يخرون للأذقان سُجَّدًا: ﴿ ۞ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [المائدة/ ٨٣] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴾ [الإسراء/ ١٠٧ ـ ١٠٩].

---

(١) ساق الإمام ابن القيم اثني عشر وجهًا تدل على أنه ﷺ مذكور في الكتب المتقدمة، ومنها البشارات بنبوته في كتبهم. انظر فيما سيأتي ص(١٠٩) وما بعدها.

وهذه صفته عليه الصلاة والسلام وصفة أصحابه عندهم، في كتبهم، كما حكاها الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح/ ٢٩].

وحكى الله تعالى بشارة عيسى عليه السلام بمحمد ﷺ فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف/ ٦].

وتجمعت هذه الشواهد كلها لتعطي أهل الكتاب علمًا يقينيًا بمعرفة نبوته ﷺ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام/ ٢٠].

ولكن فريقًا منهم يكتمون هذا الحق والعلم اليقيني مع علمهم بأنه حق، وفي هذا ما فيه من البشاعة والجحود، فقال الله تعالى عنهم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/ ١٤٦].

وبعد شهادة الله تعالى ليس هناك شهادة، فهو سبحانه أصدق القائلين وخير الشاهدين.

ولهذه البشارات شواهد سجلها التاريخ:

ولتقوم الحجة على أهل الكتاب أكثر نستدعي شهودًا منهم ـ وهم أولئك الذين سجّل التاريخ شهاداتهم واعترافاتهم بأنهم ينتظرون نبيًا

سوف يبعثه الله، وقد بشرت به كتبهم، فقد سبقت آنفًا الإشارة إلى عدد من رؤساء النصارى الذين أسلموا في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام لمّا بلغتهم دعوته، لأنهم عرفوها أولاً وعرفوا نبيها من كتبهم التي بشرت به، فما كانوا يرجمون الغيب، بل يعترفون بحقٍّ وجدوه مجسدًا في كتبهم[1].

فهذه شهادتهم القولية، وتلك شهادتهم الواقعية، اتفقتا معًا على تأكيد ما نجد من إشارات إلى بعثته عليه الصلاة والسلام في كتبهم التي بين أيديهم اليوم، رغم كل ما أصابها من تحريف وتزوير، ورغم الكتمان لكثير منها.

ملاحظات بين يدي البشارات:

ونقدم بين يدي هذه البشارات التي ساقها المصنف ـ رحمه الله ـ بعض الملاحظات المتعلقة بهذه البشارات وطبيعتها وتفسيرها:

١ ـ مع إيماننا بأن ما بين أيدي أهل الكتاب من اليهود والنصارى من الكتب ليس هو الكتاب الذي أنزله الله تعالى وحيًا على موسى وعيسى عليهما السلام، ورغم ما وقع فيهما على أيدي الأتباع من كتمان وتحريف ـ فهم يلبسون الحق بالباطل ويخلطونه به بحيث لا يتميز الحق من الباطل ـ ويكتمون الحق ويخفونه ويحرِّفون الكلم عن مواضعه لفظًا ومعنى، ويلوون ألسنتهم بالكتاب ليلبسوا على السامعين اللفظ المنزل بغيره[2] ـ رغم هذا كله ـ فإن إشارات كثيرة لا تزال بين طيَّات هذه الكتب،

---

(١) انظر فيما سيأتي ص (٥٥) وما بعدها من كلام المصنف رحمه الله تعالى.
(٢) قال الله تعالى حكاية عنهم: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ =

تحمل النبوءات والبشارات بنبوة محمد ﷺ وكأن الله تعالى أبقاها ليخزيهم ويظهر ما هم عليه من باطل، ولتقوم عليهم الحجة من كتبهم التي يقدسونها، ولما كثرت هذه البشارات وما استطاعوا كتمانها كلها أخذوا يحرفون فيها ويؤولونها تأويلات باردة ليصرفوها عن معناها الحقيقي الدالّ على نبوة محمد ﷺ وليجعلوا بعضها خاصًا بعيسى عليه السلام!

٢ ـ هذه البشارات على نوعين:

منها ما يكون إشارات مجملة ـ غالبًا ـ ولا تنطق باسمه ﷺ واسم بلده مثلاً، بل تذكر صفته ونعته ونعت أمته و مخرجه، وشيئًا من صفات دعوته ورسالته وثمراتها، ويكون في هذا أبلغ دلالة على المطلوب من ذكره باسمه الصريح، فإن الاشتراك قد يقع في الاسم فلا يحصل به التعريف والتمييز، ولا يشاء أحد، يسمى بهذا الاسم، أن يدعي أنه هو إلا فعل، إذ الحوالة إنما وقعت على مجرد الاسم، وإن كان هذا الإخبار مجملاً غير واضح عند العوام من الناس فإنه يصير عند الخواص جليًا بواسطة القرائن التي تحف به وقد يبقى خفيًا عليهم أيضًا لا يعرفون صدقه إلا بعد ادعاء النبي اللاحق أن النبي المتقدم أخبر عنه وظهر صدق ادعائه بظهور علامات النبوة والمعجزات على يديه.

ومن هذه البشارات ما يكون تفصيلاً تامًا بالاسم الصريح للنبي

= ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران/ ٧١]، ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾[المائدة/ ١٥]، ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[النساء/ ٤٦، المائدة/ ١٣]، ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[آل عمران/ ٧٨].

وبلده . . . الخ، وهذا يتفق مع ما حكاه الله تعالى على لسان بعض أنبيائه، في القرآن الكريم من البشارة بمحمد ﷺ، وسيأتي أمثلة على كلا النوعين ـ إن شاء الله تعالى ـ.

٣ ـ قد يدَّعي بعض أهل الكتاب أنهم ما كانوا ينتظرون نبيًا آخر غير عيسى وإيلياء، ولذلك ـ بزعمهم ـ لا تنطبق البشارات على محمد، عليه الصلاة والسلام، إذ عيسى عندهم خاتم الأنبياء.

وهذا زعم باطل وادعاء لا أصل له، بل كانوا ينتظرون نبيًا جديدًا غيرهما؛ يدل على ذلك ما جاء في إنجيل يوحنا: «وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنةً ولاويين ليسألوه: من أنت؟ فاعترف ولم ينكر، واعترف: إني لست أنا المسيح، فسألوه: إذن ماذا، أإيلياء أنت؟ فقال: لست إياه. فسألوه: أنت النبي؟ فأجاب: كلا. فقالوا له: من أنت؟ لنعطي جوابًا للذين أرسلونا، ماذا تقول عن نفسك؟ قال: أنا صوت صارخ في البرية، قوِّموا طريق الرب كما قال أشعياء النبي»(١).

فعلماء اليهود المعاصرون لعيسى عليه السلام سألوا يحيى عليه السلام أولاً: هل أنت المسيح؟ ولما أنكر سألوه: أنت إيلياء؟ ولما أنكر سألوه: أنت النبي؟ أي النبي المعهود الذي أخبر به موسى، فعلم أن هذا النبي كان منتظرًا قبل المسيح وإيلياء، وكان مشهورًا بحيث لم يكن محتاجًا إلى ذكر الاسم، بل الإشارة إليه كافية.

وإذا كانوا ينتظرون نبيًا آخر غير عيسى وإيلياء، فيعلم من هذا قطعًا

---

(١) إنجيل يوحنا، الفصل الأول، رقم ١٩ ـ ٢٣ طبع الكاثوليكية بيروت، ص١٥٥.

أن عيسى عليه السلام ليس خاتم الأنبياء، ثم إنهم يعترفون بنبوة الحواريين وبولس! بل بنبوة غيرهم أيضًا، فكيف يكون عيسى خاتم الأنبياء ـ بزعمهم ـ[1].

٤ ـ الأخبار والبشارات التي نقلها المسيحيون في حق عيسى عليه السلام لا تصدق عليه، بناء على تفاسير اليهود وتأويلاتهم لها، ولذلك فهم ينكرونه أشد الإنكار. وعلماء المسيحية لا يلتفتون إلى تفسيرات اليهود في هذا الشأن وتأويلاتهم، ويفسرونها بحيث تصدق على عيسى عليه السلام. ولئن كانت هذه التأويلات بنظر المسيحيين غير صحيحة وغير لائقة، كذلك تأويلات المسيحيين في الإخبارات التي هي في حق محمد ﷺ مردودة غير مقبولة، وسيظهر أن الإخبارات أو البشارات التي ستأتي في حق محمد ﷺ أظهر صدقًا من تلك التي نقلها الإنجيليون في حق عيسى عليه السلام[2].

ومن هنا قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ فالمسلمون يؤمنون بالمسيح الصادق الذي جاء من عند الله بالهدى ودين الحق، الذي هو عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. والنصارى إنما تؤمن بمسيح دعا إلى عبادة نفسه وأمه، وأنه ثالث ثلاثة، وأنه الله وابن الله، وهذا هو أخو المسيح الكذاب، لو كان له وجود. فإن المسيح الكذاب يزعم أنه الله. والنصارى ـ في الحقيقة ـ أتباع هذا المسيح، كما أن اليهود ربما ينتظرون خروجه، وهم يزعمون أنهم ينتظرون النبي الذي

---

(١) راجع: إظهار الحق للشيخ رحمة الله ٥٠٥ ـ ٥٠٧.

(٢) إظهار الحق للشيخ رحمة الله ٥٠٧ ـ ٥٠٨.

بُشِّروا به[1]، فالنصارى آمنوا بمسيح لا وجود له، واليهود ينتظرون المسيح الدجال!

٥ ـ من عادة أهل الكتاب، سلفًا وخلفًا، أنهم يترجمون ـ غالبًا ـ الأسماء في تراجمهم ويوردون بدلها معانيها، وتارة يزيدون شيئًا بطريق التفسير في الكلام، دون إشارة إلى هذه الزيادة. وهذا يجعل الأسماء المترجمة محرفة وغامضة، وفي كتبهم شواهد كثيرة على ذلك، فلا عجب، إذن، أن يحرفوا ويبدلوا اسم النبي محمد ﷺ، بلفظ آخر، بحيث يخل ذلك بالاستدلال، جريًا على عادتهم السالفة وعنادًا وجحودًا.

ولذلك لم تكن النسخ المتداولة لكتبهم متفقة، إذ قد يوجد في نسخة مالا يوجد في غيرها، ومن هنا نجد نقولات من تراجم كتبهم التي كانت متداولة في العصور السالفة، نقلها علماء أعلام من المسلمين ليحاجّوا أهل الكتاب، قد لا نجدها موافقة في بعض الألفاظ أو في كثير منها للتراجم المشهورة الآن، بسبب ذلك التغيير في الترجمة والتحريف فيها.

فمثلاً، ناقش الإمام ابن حزم النصارى ونقل نصوصًا كثيرة عنهم من الأناجيل، في كتابه «الفصل في الملل والأهواء والنِّحل». ليبين تضاربها وتناقضها مع بعضها، وكذلك فعل شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم، والإمام الغزالي والقرطبي، وأبو عبيدة الخزرجي، وغيرهم من العلماء، نقلوا نصوصًا من كتب النصارى قد لا نجدها موافقة في ألفاظها للإنجيل الموجود عندهم حاليًا وبالطبع لو أن أحدًا من أولئك العلماء المسلمين قد غيّر أو كذب فيما نقل لبيّن النصارى

---

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم ص (٣٨٤).

ذلك ورده[1].

علاقة الإسلام بالأديان الأخرىٰ:

عرفنا فيما سبق أن الإسلام بمعناه العام هو دين الأنبياء جميعًا، عليهم الصلاة والسلام، فإذا أخذنا كلمة الإسلام بهذا المعنى «نجدها لا تدع مجالاً للسؤال عن العلاقة بين الإسلام وبين سائر الأديان السماوية، إذ لا يُسأل عن العلاقة بين الشيء ونفسه، فهنا وحدة لا انقسام فيها ولا اثنينية».

ولكن السؤال هنا عن الإسلام بمعناه الخاص، وهو الدين الذي أنزله الله تعالى على محمد ﷺ، أي العلاقة بين المحمدية وبين الموسوية والمسيحية:

وللإجابة على هذا السؤال ينبغي أن نقسم البحث إلى مرحلتين[2]:

المرحلة الأولى: في علاقة الشريعة المحمدية بالشرائع السماوية السابقة، وهي في صورتها الأولى لم تبعد عن منبعها، ولم يتغير فيها شيء بفعل الزمان ولا بيد الإنسان.

---

(١) انظر: «إظهار الحق»، ص (٥١١ ـ ٥١٨)، «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم: ٢/ ٦٩ ـ ٧٥.

(٢) عن (الدين) للدكتور محمد عبدالله دراز ١٧٥ ـ ١٧٦، وعنه لخصنا هذه الفقرة بكاملها، وهي في أصلها بحث أعده ـ رحمه الله ـ لإلقائه في الندوة العالمية للأديان التي عقدت في لاهور بالباكستان في جمادى الآخرة سنة ١٣٧٧هـ وانظر في تقويم هذه الندوة، وندوة أخرى عقدت في أعقابها في كراتشي: ثلاث مقالات للشيخ محمد أبي زهرة في مجلة لواء الإسلام، السنة الثالثة عشرة.

وهنا يعلمنا القرآن الكريم: أن كل رسول يرسل، وكل كتاب ينزل، قد جاء مصدقًا ومؤكدًا لما قبله، فالإنجيل مصدِّق ومؤيد للتوراة، والقرآن مصدِّق ومؤيد للإنجيل والتوراة، ولكل ما بين يديه من الكتاب. إذ هناك تشريعات خالدة لا تتبدل ولا تتغير بتغير الأصقاع والأوضاع. وهناك تشريعات أخرى جاءت موقوتة بآجالٍ طويلة أو قصيرة، فهذه تنتهي بانتهاء وقتها، وتجيء الشريعة التالية بما هو أوفق وأرفق بالأوضاع الناشئة الطارئة. وقد جاء القرآن الكريم فغيّر الله تعالى فيه بعض الأحكام التي جاءت في التوراة والإنجيل، وقوفًا بها عند وقتها المناسب وأجلها المقدّر لها في علم الله سبحانه وتعالىٰ، وما كان فيها من الأحكام صحيحًا موافقًا لقواعد السياسة الدينية لا يغيّره، بل يدعو إليه ويحث عليه. وما كان سقيمًا قد دخله التحريف فإنه يغيره بقدر الحاجة، وما كان حريًا أن يزاد فإنه يزيده على ما كان في الشرائع السابقة[1].

وعلى هذا، فإن الإسلام قد اعترف بالشرائع السابقة كما نزلت على الرسل السابقين، على أنها شرائع، وديانات توحيد في الذات والصفات والألوهية، فالله سبحانه وتعالى واحد أحد، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وهو المتفرد بالعبادة، وهو الخالق لكل شيء، العليم بكل شيء، السميع البصير اللطيف الخبير، الموصوف بكل صفات الكمال المنزه عن كل صفات النقص.

فالنصرانية التي اعترف بها القرآن الكريم هي التي تعتبر المسيح عليه السلام عبدًا لله ورسولاً من عنده، ليس إلهًا ولا ابن إلٰه، وهي التي يقول

(١) «حجة الله البالغة» للدهلوي (١/ ٩٠ - ٩١، و١٢٢ - ١٣٣).

الله تعالى على لسان نبيها عليه السلام: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة/ ١١٧]. والنصرانية التي اعترف بها القرآن الكريم هي التي تبشر كتبها بالنبي محمد ﷺ، وتطالب الذين حضروا دعوته من بعدها: أن يؤمنوا بها، كما جاء في القرآن الكريم على لسان المسيح عليه السلام.

واليهودية التي اعترف بها الإسلام هي التي جاء بها موسى عليه السلام، ديانة توحيد، تؤمن بالله وباليوم الآخر، ولا تبيح قتل النبيين، والتي توجب الإيمان بالكتب التي اشتملت على بيانها الشريعة المطهرة، وتؤمن برسل الله أجمعين. وفيها إيمان بالله تعالى وطاعة له وعبودية خالصة، وتنزيه للرسل عن المعاصي وعصمتهم من الخطايا.

تلك هي الديانات التي يعترف بها الإسلام، ويقرها ويمدحها القرآن الكريم ويمدح معتنقيها، قبل بعثة محمد عليه الصلاة والسلام، إذ هي الإسلام الذي أنزله الله. فلما جاءت شرعة محمد كانت هي الرسالة الخاتمة وهي الإسلام الذي ينبغي أن يفيئ إليه الجميع ليكونوا مسلمين حقًا.

المرحلة الثانية: أما المرحلة الثانية ففي بحث العلاقة بين الشريعة المحمدية والشرائع السماوية، بعد أن طال عليها الأمد، فنالها من التغيير والتحريف والتبديل والكتمان ما كان كفيلاً بتحويلها عن أصلها من ديانة توحيد إلى ديانات وثنية لا تمت إلى أصلها المنزل إلا بخيط أوهىٰ من خيط العنكبوت أو بنسبة لا حقيقة لها.

وهنا نرى أن القرآن الكريم قد أضاف إلى موقفه منها في المرحلة

الأولى صفة أخرى وهو أنه جاء مهيمنًا على كتبها وشريعتها ـ وقد سبق ذلك آنفًا ـ أي حارسًا وأمينًا عليها، ومن شأنه ألا يكتفي بتأييد ما فيها من حق وخير، بل عليه، فوق ذلك، أن يحميها من الدخيل الذي عساه أن يضاف إليها بغير حق، وأن يبرز ما تمس إليه من الحقائق التي عساها أن تكون قد أخفيت منها.

وهكذا كان من مهمة القرآن الكريم أن يتحدى من يدّعي وجود تلك الإضافات التي اخترعوها في تلك الكتب: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران/ ٩٣].

وبالتالي فالإسلام لا يعترف بدعوة ترفع عيسى عليه السلام إلى مرتبة الألوهية وتنحرف عن التوحيد الخالص لتعتنق التثليث وتؤمن بالخطيئة والكفارة والصلب... متأثرة بالوثنية التي كانت سائدة وقت نشر النصرانية في الدولة الرومانية(١)، ثم هي تنكر نبوة نبي بعثه الله تعالى

---

(١) لبيان مدى تأثر النصرانية بالإفكار الوثنية وكيفية تسرب هذه الأفكار إليها وانحراف النصارى عن أصل عقيدة التوحيد راجع بالتفصيل: «الأصول الوثنية للمسيحية» تأليف أندريه نايتون، ترجمة سميرة الزين، ص(١٧) وما بعدها، «العقائد الوثنية في الديانة النصرانية» تأليف محمد طاهر التنير، ص(٣٥) ومابعدها، «العلمانية» للشيخ سفر بن عبدالرحمن الحوالي ٢٧ ـ ١٢٣، «المسيحية: نشأتها وتطورها» لشارل جنيبر ترجمة د. عبدالحليم محمود ص ١٠١ وما بعدها، «حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر» للمهندس أحمد أحمد عبدالوهاب، ص٤١ وما بعدها. وهو كتاب حافل بالنصوص والوثائق من مراجع غربية نصرانية، «محاضرات في النصرانية» للشيخ محمد أبي زهرة ٢٩ وما بعدها. «مقارنة الأديان: المسيحية» للدكتور أحمد شلبي ٩٠ ـ ١٦٠، «ماذا =

وبشرت به كتبها أصلاً، كما لا يعترف بدعوة يزعم أهلها في حق الله ما يزعمون من كذب وإفك وكفر، ويصفون أنبياء الله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ بما تقشعر منه الأبدان وترتجف له القلوب. ومَنْ وصف الله سبحانه بالإفك لا يستغرب منه أي كفر بعد.

= خسر العالم بانحطاط المسلمين» لأبي الحسن الندوي ٣٦ ـ ٤٠.

ثالثًا: كتاب «هداية الحيارىٰ في أجوبة اليهود والنصارىٰ»

يحتل كتاب «هداية الحيارى» مكانة بارزة في المكتبة الإسلامية بين الكتب التي تهدف إلى الدفاع عن الإسلام وردِّ الشبهات التي أثارها اليهود والنصارى، وحاولوا بها التلبيس على بعض المسلمين، كما تهدف أيضًا إلىٰ مناقشة أهل الكتاب وبيان تحريفهم لكتبهم وتأويلهم الفاسد لنصوصها، وفي هذا وذاك دعوة لأهل الكتاب كي يثوبوا إلى الحق والهدىٰ، فهي دعوة إلى الإسلام الذي لا يقبل الله تعالى من الناس غيره.

وقد سبق كثير من العلماء قبل ابن القيم ـ رحمه الله ـ في الكتابة في هذا الموضوع ـ كما تقدم ـ ثم جاء علماء آخرون من بعده، فكتبوا أيضًا مؤلفات وردودًا كثيرة، وكان كتاب «هداية الحيارى» واسطة العقد، استفاد من كتب ومصادر سابقة، وأفاد منه مؤلفون جاؤوا بعده، فتأثر بمن سبقه وأثَّر فيمن جاء بعده، وفي كلتا الحالتين كان للكتاب منهجه وأسلوبه المتميز.

موضوع الكتاب وسبب تأليفه:

أبان المصنف ـ رحمه الله ـ في مقدمة كتابه[١] أن من بعض حقوق الله تعالى على العلماء أن يردُّوا على من يطعن في كتاب الله تعالى، ويطعن في رسوله ﷺ، ودينه؛ وقد أورد بعض الكفار الملحدين مسائل على بعض المسلمين، فلم يصادف عنده ما يشفيه، وظنَّ المسلمُ أنَّ جواب ذلك هو الضرب لمن يورد ذلك، مما يعزّز دعوى غير المسلمين

(١) انظر ص (٢٠) وما بعدها.

أن الإسلام إنما قام وانتصر بالسيف لا بالكتاب!

فقام المصنف ـ رحمه الله ـ بواجب الردِّ العلمي المستفيض على ذلك الكافر الملحد، بأدلة من الكتاب الكريم ومن السنة النبوية ومن الواقع التاريخي وألزمه الحجة من كتبه التي يؤمن بها، وذلك لأن دين الإسلام إنما قام بالكتاب الهادي، ونفّذه السيف الماضي، كما يقول المصنف ـ رحمه الله ـ.

ولذلك وضع المصنف كتابه «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى»، وجعله قسمين اثنين:

(القسم الأول) في أجوبة المسائل التي أوردها من أشار إليهم المصنف، وهم بعض الكفار الملحدين. وقد استغرق هذا القسم معظم فصول الكتاب.

(القسم الثاني) في تقرير نبوة نبينا محمَّدٍ ﷺ بجميع أنواع الدلائل.

فجاء الكتاب ـ كما يقول المصنف أيضًا ـ كتابًا ممتعًا مُعْجِبًا، لا يسأم قاريه، ولا يملُّ الناظر فيه؛ فهو يصلح للدنيا والآخرة، ولزيادة الإيمان ولذة الإنسان، يعطي القارىء ما يشاء من أعلام النبوة وبراهين الرسالة وبشارات الأنبياء بمحمدٍ ﷺ، وفيه أيضًا دراسة للأديان وتمييز صحيحها وفاسدها، وكيفية فسادها بعد استقامتها، كما يتضمن جملة من فضائح أهل الكتابين وما هم عليه، وأنهم أعظم الناس براءة من أنبيائهم وأبعدهم عنهم، وتخلّل ذلك أبحاثٌ علمية كثيرة قد لا توجد في سواه.

أسلوب الكتاب وطريقته:

يجد الدارس لكتاب «هداية الحيارىٰ» أن المؤلف سلك منهجًا وصفيًا استقرائيًا نقديًا مقارنًا. فهو منهج وصفي يستند إلى التحليل باستقراء الجزئيات وتصنيفها وترتيبها، مع التوثق والتأكُّد من صحة نسبة الأقوال ومناقشتها، وما يكتنفها من شروح وتفسيرات.

وهو أيضًا منهج استنباطي يستخدم القواعد الأصولية واللغوية، وينطلق من الجزئيات إلى الحقائق العامة. وهو كذلك منهج مقارن يقابل الآراء والأقوال ببعضها ويوازن بينها، ولا يهمل المنهج التاريخي في كثير من المواضع، وبذلك كان المنهج والطريقة التي سلكها المصنف منهجًا متكاملاً وطريقة في البحث شاملة.

وامتاز أسلوب الكتاب بالوضوح في العبارة، والبعد عن الجفاف والتعقيد الذي يصادفه القارىء في مثل هذه المباحث الجدلية والردود، كما امتاز بقوة الحجة والدليل، وتنوع وسائل الاستنباط، وذلك ما جعله يسدُّ منافذ الهرب من إقامة الحجة والدليل على مَنْ أثار الشبهات وأورد المسائل والطعون التي كانت سببًا لتأليف هذا الكتاب.

ونجد في الكتاب أيضًا استطرادات تدعو إليها أحيانًا المناسبة، وفي هذا فائدة للقارىء، وإن كانت أحيانًا تقطع سلسلة الأفكار المتتابعة، وتفصل بين فقرات الموضوع الواحد المتكامل.

نسبة الكتاب لمؤلفه وتسميته:

إن نسبة الكتاب لابن القيم ثابتة من طرق؛ فقد جاءت النسخ الخطية كلها مصرِّحة بذلك، كما أن المصنف ـ رحمه الله ـ صرَّح باسم كتابه هذا

في بعض كتبه الأخرى، وذكر فيها بعض مسائله[1]. كما جاءت نسبة الكتاب أيضًا في بعض المصادر التي ترجمت للمصنف مثل «كشف الظنون» لحاجي خليفة، و«هدية العارفين» للبغدادي[2].

أما تسمية الكتاب؛ فقد جاء اسمه كاملاً في المخطوطات التي اعتُمِدت في التحقيق، كما جاء الاسم في المصادر وهو «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى»، كما نصَّ عليه المصنف أيضًا في مقدمته. وهذا يشير إلى أن ما نجده أحيانًا في بعض النسخ الخطية من مغايرة لهذا العنوان إنما هو تصحيف أو اختصار، كالذي جاء في نسخة مكتبة أياصوفيا في موضع واحد منها «كتاب الحيارى..»، وفي نسخة مكتبة الحاج بشير آغا في إستانبول: «هداية الخيارى...».

مصادر الكتاب:

اعتمد المصنف ـ رحمه الله ـ جملة من المصادر التي لها قيمتها العلمية، وقد تنوعت مابين كتب في التفسير كالطبري، وفي الحديث كالصحاح والسنن والمسانيد وغيرها مما نقل عنها، وفي السيرة النبوية والشمائل والدلائل، مثل «سيرة ابن إسحاق»، و«سيرة ابن هشام»، و«دلائل النبوة» للبيهقي، ولأبي نُعَيْم، ولقوَّام السنة. ونقل عن ابن قتيبة من كتابه الذي لا يزال مخطوطًا وهو «أعلام رسول الله ﷺ في التوراة والإنجيل»، وكذلك كتب الطبقات وتراجم الصحابة مثل «طبقات ابن سعد» و«الاستيعاب» لابن عبدالبر، «والتاريخ الكبير» للبخاري، وكان

(١) انظر مثلاً: «أحكام أهل الذمة»: (١/ ٢٦٧ ـ ٢٦٩) مع تعليق المحقق، «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان»: (٢/ ٣٣٠ ـ ٣٣٣).

(٢) انظر: «كشف الظنون»: (٢/ ٢٠٣٠)، «هدية العارفين» (٢/ ١٥٨).

لكتب الأدب والشعر نصيب حيث استشهد بنصوص منها.

كما اعتمد مجموعة من المصادر المتخصصة في موضوع البحث مثل «بذل المجهود في إفحام اليهود» للسموأل، وكتاب «بين الإسلام والمسيحية» لأبي عَبيدة الخزرجي، وكتاب «الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح» لشيخه ابن تيمية، وقد أفاد منه كثيرًا، ويبدو أنه كان واسطة للنقل عن كتاب «تاريخ ابن البطريق» فيما جاء عن النصرانية وتاريخها ومذاهبها والمجامع التي عقدوها.

وأما النصوص التي نقلها عن «العهد القديم والجديد»، فهي تدل على أن ذلك من مصادره أيضًا. وقد يكون اعتمد على بعض المصادر فنقل عنها بالواسطة. والله أعلم. هذا، وقد أشرت في حواشي الكتاب إلى مواضع النقل من تلك المصادر سواء المطبوعة أو المخطوطة.

صلة «هداية الحيارىٰ» بكتاب «الجواب الصحيح»:

لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كتاب ضخم هو «الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح»، كتبه ردًا علىٰ «الرسالة القبرصية» التي كتبها بولص الراهب أسقف صيدا الأنطاكي، وهو من أعظم الكتب في الجدل مع النصارى والردِّ على شبهاتهم، ونقض أصولهم المحرَّفة، وفي الدفاع عن الإسلام أمام هجوم النصارى. يقول فيه الشيخ محمد أبو زهرة ـ رحمه الله ـ: «جمع بين المناقشة الخصبة المنتجة؛ والعلم الصحيح العميق، فهو من ناحية: مرجع في بابه، وحقائق علمية صادقة عميقة؛ ومن ناحية أخرىٰ: جدل ومناظرة جيدة محكمة عميقة. . . وابن تيمية في هذا الكتاب مدافع، وليس بمهاجم؛ ولكنه ـ كدأبه في الجدل ـ يهدم حجة خصمه، ويفلّ سيفه الذي يشهره عليه، ثم يغير عليه في قوة

وشدة، وإن كانت مناقشته في هذا الكتاب هادئة في جملتها، ومهما يكن الباعث على الكتاب من ردِّ هجومهم، فقد كان في دفاعه مهاجمًا؛ لأن خير الدفاع ما كان هجومًا»[١].

ويلتقي كتاب «الهداية» لابن القيم مع كتاب «الجواب الصحيح» لشيخه ابن تيمية، في أن كلاً منهما كتب للرد على ما أثاره بعض النصارىٰ وما طعنوا به، وفي أن كلا الكتابين فيهما ـ مع الدفاع عن الإسلام ـ هجوم على المعتقدات الباطلة، وإقامة للحجة على أصحابها بطرق شرعية وعقلية وإلزامية. وبهذا اتفق موضوع الكتابين ومنهجهما العام.

ولا ضير في أن يستفيد المصنف من كتاب شيخه في مواضع كثيرة من كتابه، وأن ينقل عنه بعض النصوص، وهذا واضح في مواضع كثيرة، ولكن هذا لا يعني أن «الهداية» مختصر من «الجواب الصحيح» أو تلخيص له، كما قد يتراءىٰ لبعضهم، فإن في كلٍّ منهما مباحث ليست في الآخر، والدراسة المتأنية للكتابين تؤيد ذلك وتؤكده.

هذا، ويبقىٰ بعد ذلك: أن كل كتاب له شخصيته أو طابعه الذي يميزه، وأن كتابًا قد لا يغني عن كتاب، وإن كان يكمل مافيه ويلتقي معه في مباحث كثيرة أو قليلة[٢]. والله أعلم.

الطبعات السابقة للكتاب:

حظي هذا الكتاب باهتمام الناشرين والباحثين، فبعد أن تعددت

---

(١) انظر: «ابن تيمية» للشيخ محمد أبو زهرة، ص (٥١٤و٥١٦).

(٢) انظر أيضًا: «هداية الحيارىٰ» مقدمة الدكتور محمد أحمد الحاج، ص (١٦٣ ـ ١٦٥).

نسخه الخطية في مكتبات العالم بما يدل على الاهتمام والعناية به، وجدنا الاهتمام به أيضًا مع بداية حركة الطباعة. فقد طبع أولاً في الهند باسم «هداية الحيارى من اليهود والنصارىٰ» ولم يعرف تاريخ طبعه، فيما أشار إليه كتاب «معجم المطبوعات العربية في شبه القارة الهندية».

وطبع في مصر بمطبعة التقدم عام (١٣٢٣هـ) بهامش كتاب «الفارق بين المخلوق والخالق» وهي الطبعة التي صورتها دار الكتاب الإسلامي لإحياء التراث بمصر، دون تاريخ. كما طبع في العام نفسه طبعة مستقلة لأول مرة في مصر، ويذكر أنه طبع سنة ١٣٣٣هـ مستقلاً.

وتوالت طبعاته، فطبع في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٣٩٦هـ، وطبع مع «مجموعة التوحيد» بمصر ثم الرياض، وفي عام ٢٠٠٣م ثم طبعته مكتبة الفتح للإعلام العربي بالقاهرة، وفيها أيضًا طبعته المكتبة القيمة. ونشرته دار الكتب العلمية في بيروت عام ١٤١٥هـ، وحققه أحمد حجازي السقا ونشرته المكتبة القيمة في القاهرة سنة (١٣٩٩هـ). وحققه محمد أحمد الحاج مع دراسة عن الكتاب ونال به درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، ونشرت هذه الرسالة دار القلم بدمشق في طبعتها الأولى ١٤١٦هـ.

وقد يكون هناك طبعات أخرى، وحسبنا الإشارة هنا إلى أنه ليس من غرضنا في هذه الفقرة استيعاب كل الطبعات ولا دراستها أو نقدها ونحو ذلك، فقد أدَّت دورًا طيبًا، وفيها أو في بعضها جهد مشكور، وعلى بعضها ملاحظات، ولايخلو عمل علمي من ملاحظات أو مؤاخذات، أو من خلاف في وجهات النظر في التحقيق والإخراج.

النسخ الخطية للكتاب:

أشار بروكلمان إلى النسخ الخطية للكتاب[1] فذكر أنه: مخطوط في ليدن (٢٠٢٤)، ويني جامع (٧٦١) وأياصوفيا (٢٢٤٣)، وجاريت (١٥١٨)، وبريل ثانٍ (٩٧٦)، وتونس الزيتونة (٤/ ٤٣٦/ ٢٩١). وهناك مخطوطات أخرى لم يذكرها بروكلمان.

والذي تحصّل من المخطوطات أثناء العمل على تحقيق الكتاب هو النسخ الآتية:

أولاً: النسخة المحفوظة في مكتبة الحاج بشير آغا في استانبول (تركيا)، وهي برقم (٤١٣)، وقد أصبحت هذه المكتبة ضمن المكتبة السليمانية. وتقع في (١٥٤) ورقة، في كل ورقة (٢٥) سطرًا، وفي أولها فهرس يقع في (٤) ورقات، بخط نسخ جيد، والفهرس بخط فارسي، من خطوط سنة (١١٤٤هـ). وفي صفحة العنوان تملك الحاج بشير آغا بتاريخ سنة (١١٥١هـ)، وختم المكتبة ورقم التصنيف وختم الوقفية. وبآخرها هذه العبارة: «تمَّ الكتاب بعون الله تعالى. الحمد لله على التمام، والصلاة والسلام على نبيه وأصحابه الكرام. سوَّده أضعف الأنام السيد عثمان القريمي. . . سنة أربع وأربعين ومائة وألف».

وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف (غ).

ثانيًا: نسخة مكتبة أيا صوفيا في إستانبول أيضًا، ورقمها (٢٢٢٣)، وتقع في (١٥٤) ورقة، في كل صفحة (٢٥) سطرًا. وقبل صفحة العنوان

---

(١) «تاريخ الأدب العربي» القسم السادس، ص (٤٢١).

فهرس للفصول بصفحة واحدة، وهي بخط نسخ معتاد، وعلى صفحة العنوان أختام ووقفية السلطان محمود خان، وكاتبه أحمد شيخ زاده بأوقاف الحرمين الشريفين. وليس على النسخة اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، وتنتهي بهذه العبارة: «تم الكتاب بعون الملك الوهاب». وعلى هامشها استدراكات وتصحيحات. ورمزت لها بالحرف (ص).

ثالثًا: نسخة مكتبة يني جامع (الجامع الجديد) في إستانبول أيضًا، وهي التي أشار إليها بروكلمان ـ كما سبق ـ وقد آلت جميع كتبها إلى المكتبة السليمانية بإستانبول، وهي تحمل الرقم (٧٦١)، وتقع في (١٩٤) ورقة، وقد كتبت بخط نسخ جيد، وفي بعض صفحاتها تعليقات أو تصويبات يسيرة. وكان الفراغ من كتابتها في التاسع والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة (١٠٦٦هـ) على يد قاسم بن محمد الرومي بلدًا والمصري موطنًا. وعلى هذه النسخة أختام ووقفية.

وقد رمزت لها بحرف (ج).

رابعًا: نسخة مكتبة جامعة برنستون بأمريكا، وهي التي أشار إليها بروكلمان (جاريت ـ ١٥١٨). وتقع في (٤٠٥) صفحة، وهي مكتوبة بخط الرقعة، وخطها جيد. وبهامشها وبين السطور بعض التعليقات وعزو نصوص العهد القديم والجديد لمواضعها، وتتضمن أيضًا فهرسًا لموضوعات الكتاب. وكان الفراغ من كتابتها ليلة الجمعة في ٢١ ربيع الأول سنة (١٢٧٥هـ)، وناسخها هو مصطفى رشدي بن أحمد فليوزي.

ورمزت لهذه النسخة بالحرف (ب).

خامسًا: نسخة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ورقمها (٢١٣٦٩ س)

في الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة، وتقع في (١٤٦) ورقة، وكتبت بخط نسخ جيد، دون تاريخ ولا اسم ناسخ. وفيها بعض التصويبات وشرح بعض الكلمات بحواشيها.

ورمزت لها بالحرف (د).

منهج التحقيق:

وأما منهج التحقيق والعمل في هذه النشرة أو الطبعة للكتاب؛ فإنه يقوم على أصولٍ اتفق عليها علماء التحقيق، وخلاصة ذلك أن يبذل المحقق عناية خاصة بالمخطوط لتقديمه صحيحًا، كما وضعه مؤلِّفه. وتكاد كلمة المحققين والمعنيين بالتراث تُجمِع على أنَّ الجهود التي تبذل في كل مخطوط يجب أن تتناول تحقيق عنوان الكتاب، ثم تحقيق اسم المؤلف، ونسبة الكتاب إلى مؤلفه، ثم تحقيق متن الكتاب ونصِّه. وبذلك يفارق التحقيقُ الشرحَ والتعليق، وإن كان هذا الأمر قد اختلط على بعضهم فجعل التحقيق مجالاً واسعًا للشروحات والتعليقات والتعقبات الكثيرة.

ولذلك انصرفت العناية إلى مقابلة النسخ الخطية للكتاب، وإثبات ما يراه المحقق صوابًا في المتن، ثم الإشارة إلى العبارات الأخرىٰ المخالفة في الحواشي، وقد يخالف اجتهاد بعض القراء ذلك، وأظن الأمر يسيرًا في هذا، واتبعت في ذلك طريقة النص المختار، إذ ليس بين النسخ الخطية ما يصلح لاعتماده نسخة أصلية نعتبرها أمًا نقابل عليها سائر النسخ. ثم كان من المناسب ضبط كثير من الكلمات والنصوص، وتخريج الأحاديث الشريفة والآثار تخريجًا إجماليًا، مع الاقتصار على الصحيحين أو أحدهما إن كان الحديث فيهما. وأما النصوص التي نقلها

المصنف ـ رحمه الله ـ فقد أُعيدت إلى مصادرها المطبوعة أو المخطوطة، ما عدا جملة منها، لم نستطع الرجوع إلى أصلها المخطوط. وكان من المنهج الاختصار في التعليق أو الشرح إلا ما كان ضروريًا.

وكذلك انصرفت العناية إلى طريقة توزيع النص وحُسْن تنسيقه، والاهتمام بعلامات الترقيم، والفهارس التي تيسِّر الإفادة من الكتاب. وهنا أخصّ بالشكر الجزيل الدكتور محمد أجمل الإصلاحي الذي قام بعمل جميع فهارس الكتاب (اللفظية والعلمية).

وليس هذا بأفضل الممكن، ولكنه جهد المُقِلِّ، وقد يحتاج إلى مزيد من التحسين والتجويد والتصويب والتعديل، رغم ما بذله المحقق والمراجعون ـ جزاهم الله خيرًا ـ شأن كل عمل بشري. ولكل مجتهد نصيب.

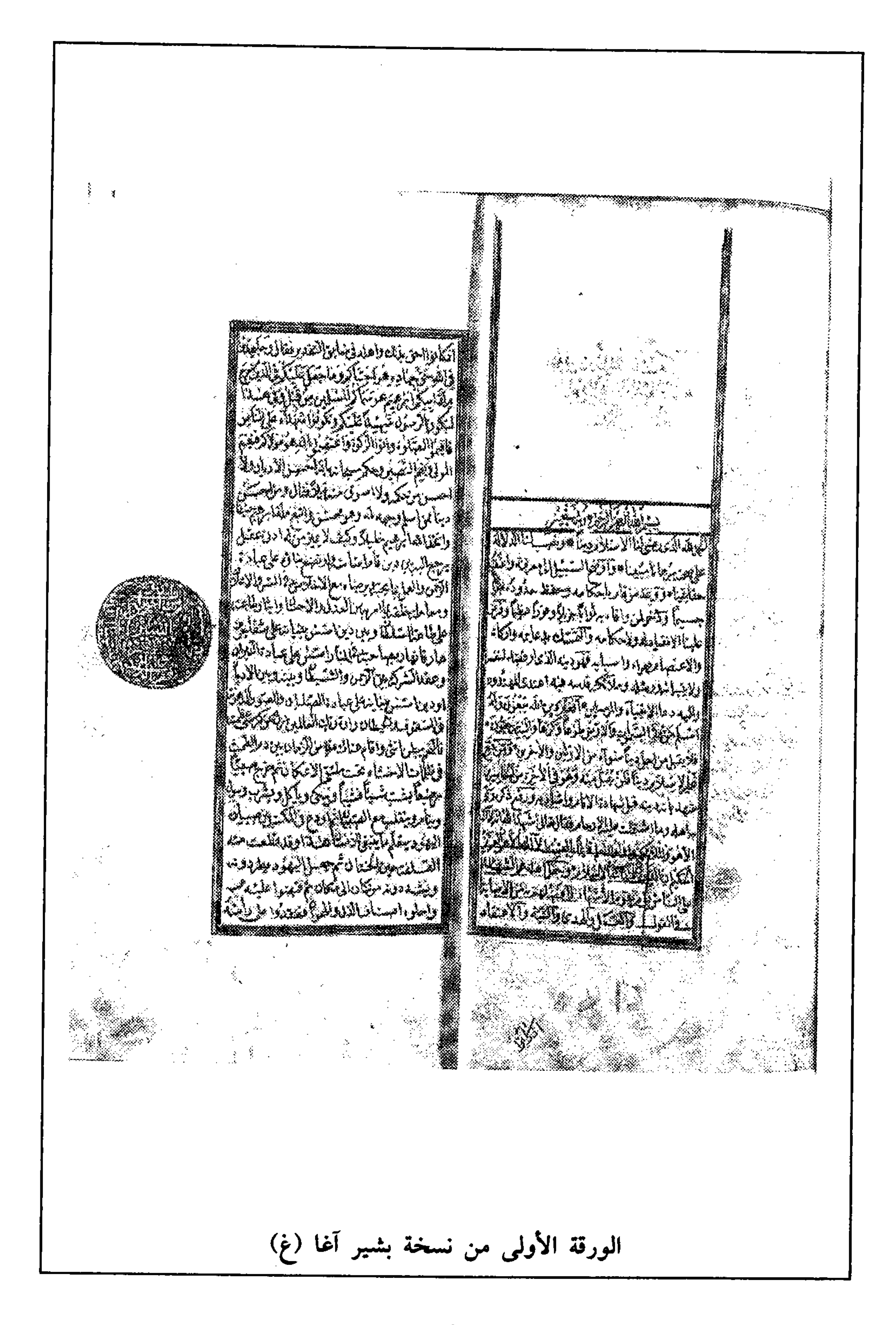
ويبقى أن أشير هناإلى وجود الكثير من الكلمات أو العبارات باللغة العِبريّة ربما وقع فيها تحريف أو تصحيف لم يعرف وجه صوابه.

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه، موافقًا لشرعه، متقبلاً عنده. والحمد لله رب العالمين.

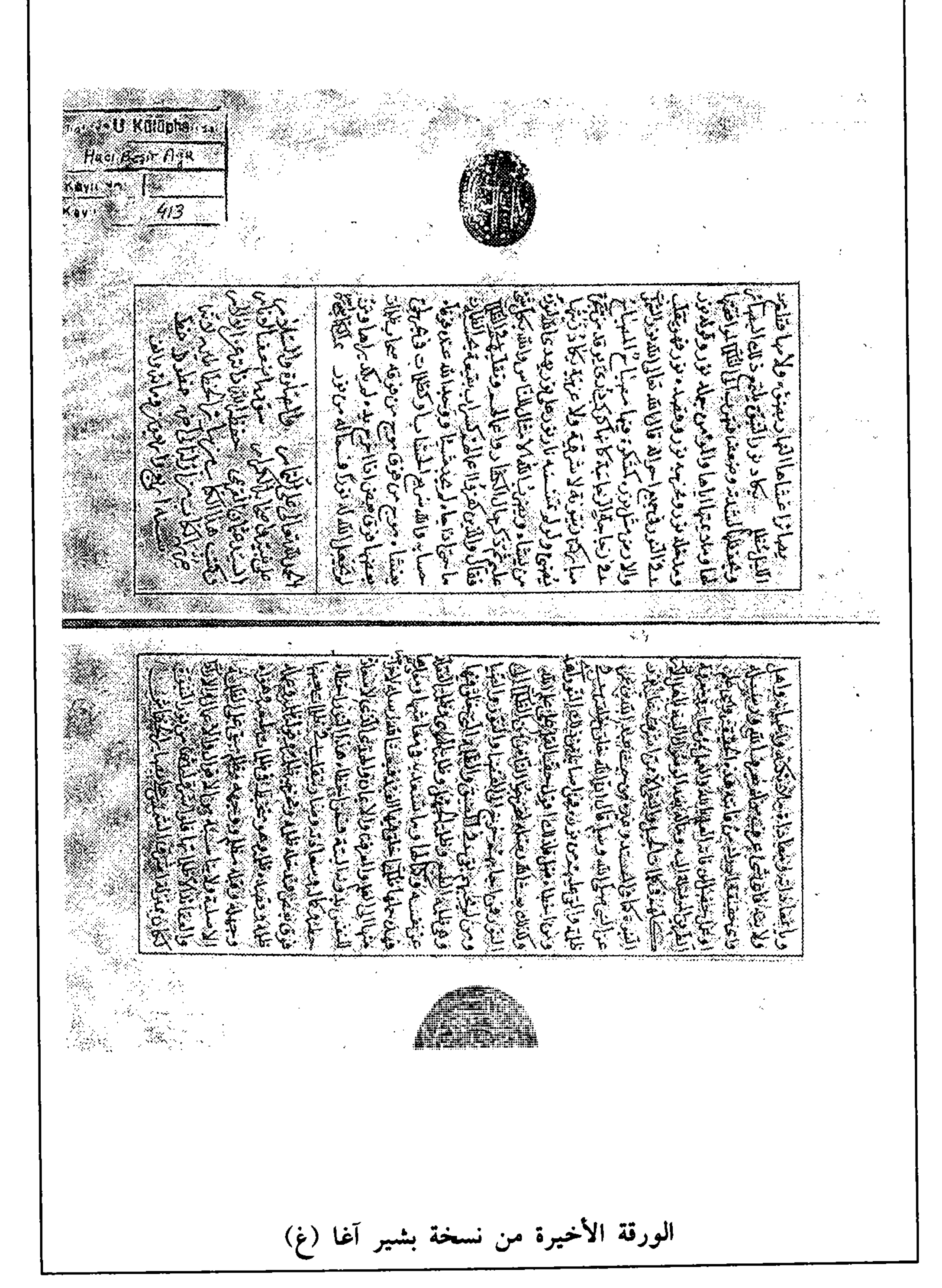




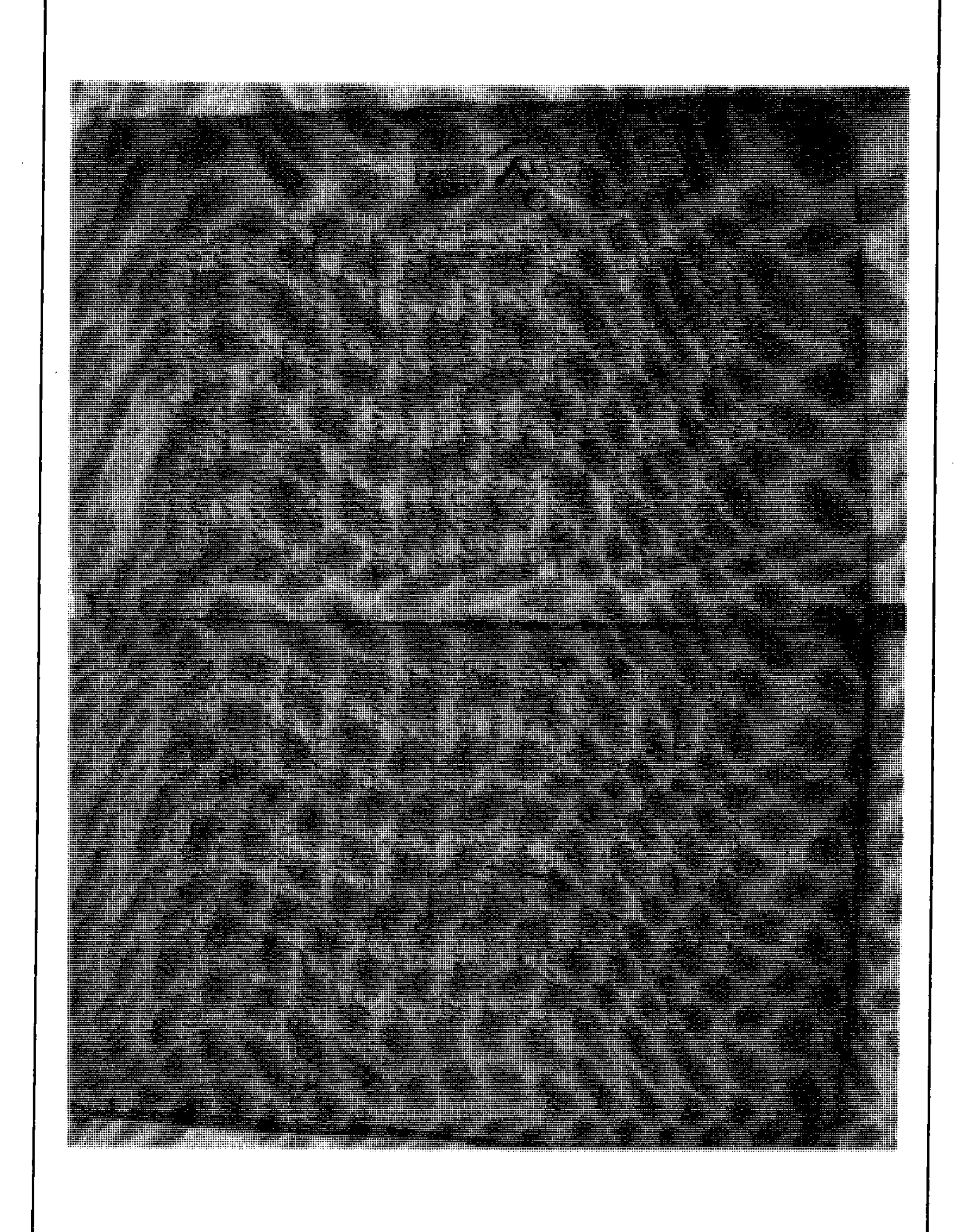
نماذج من المخطوطات



الورقة الأولى من نسخة بشير آغا (غ)

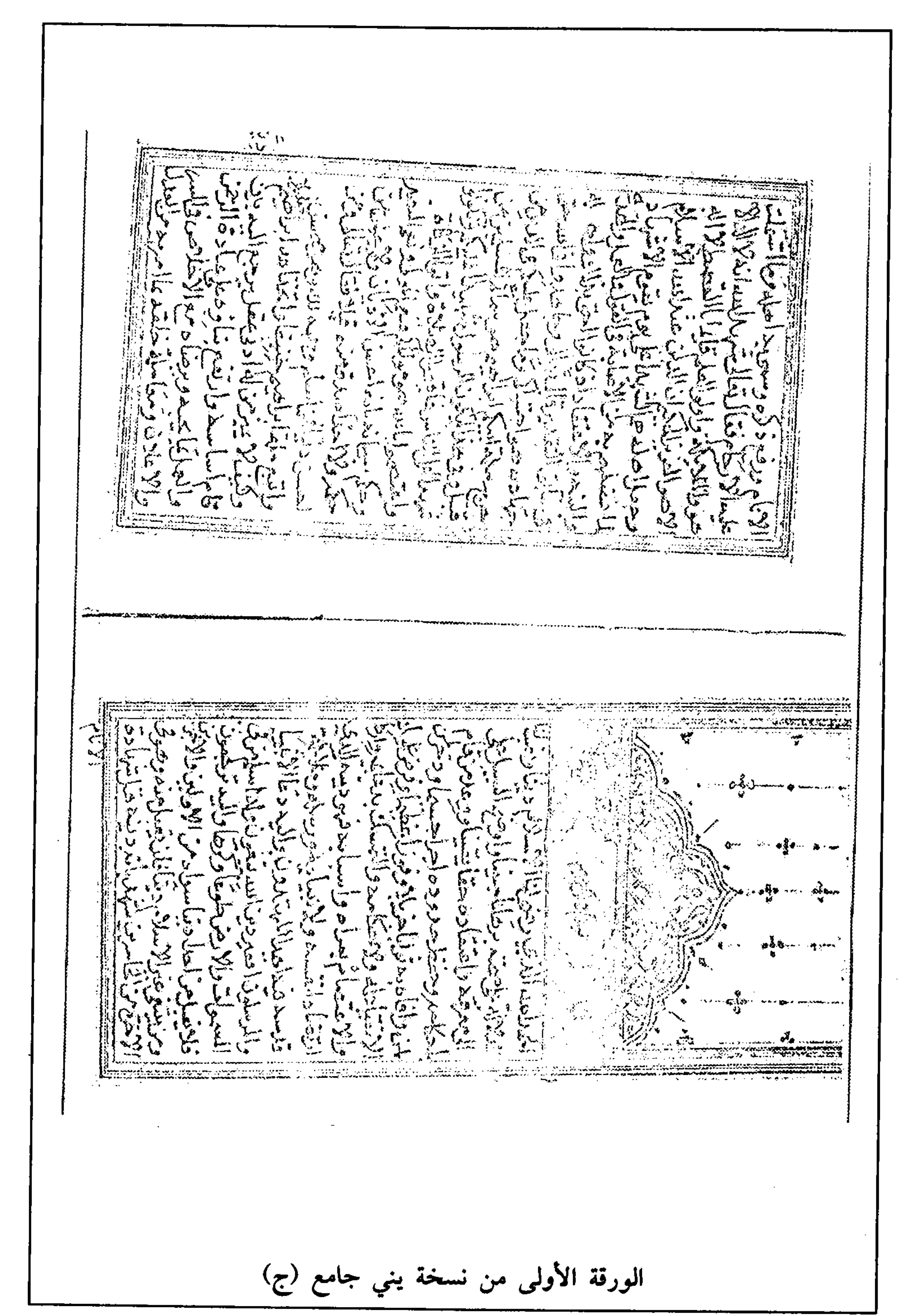


الورقة الأخيرة من نسخة بشير آغا (غ)

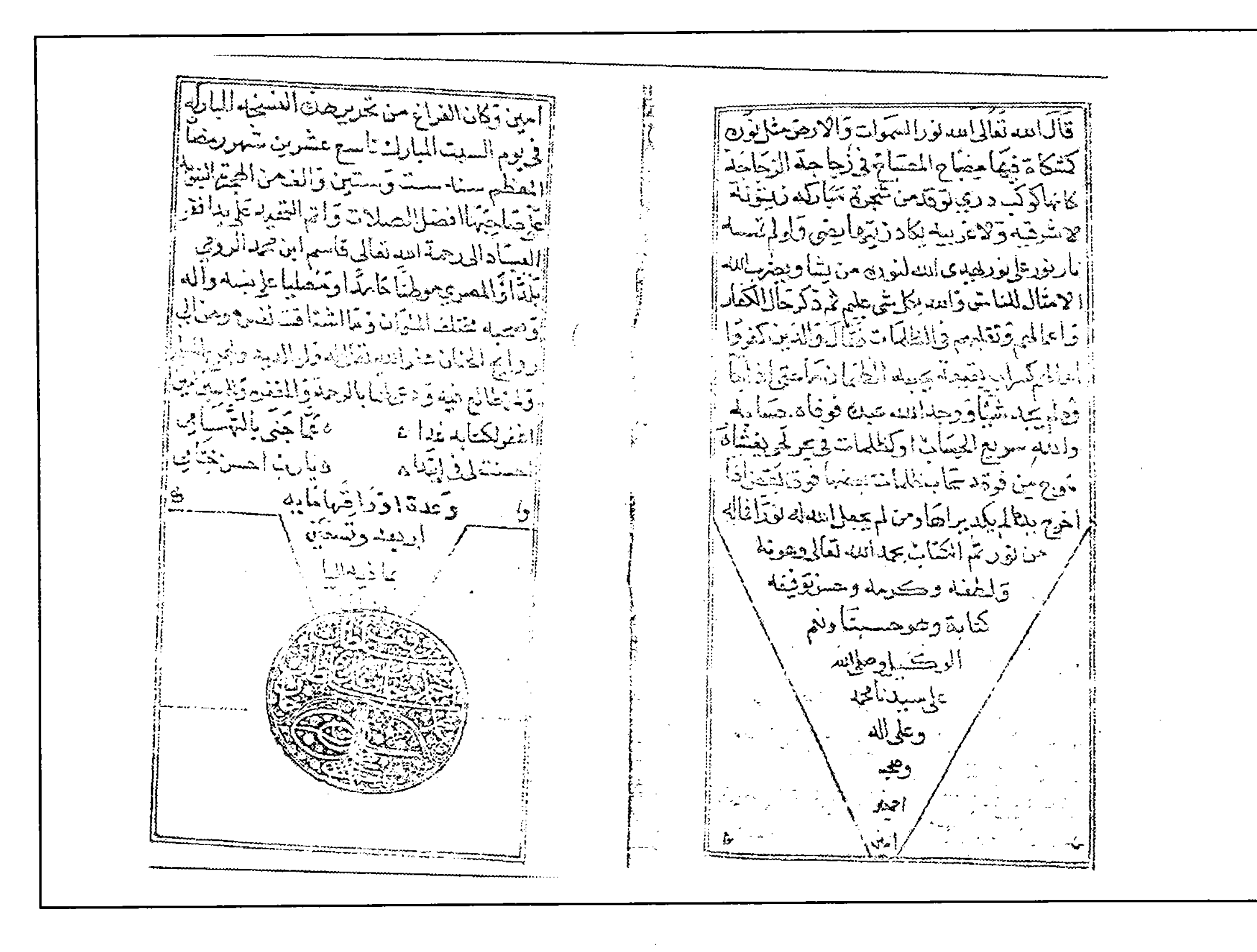


الورقة الأولى من نسخة أيا صوفيا (ص)

الورقة الأخيرة من نسخة أيا صوفيا (ص)



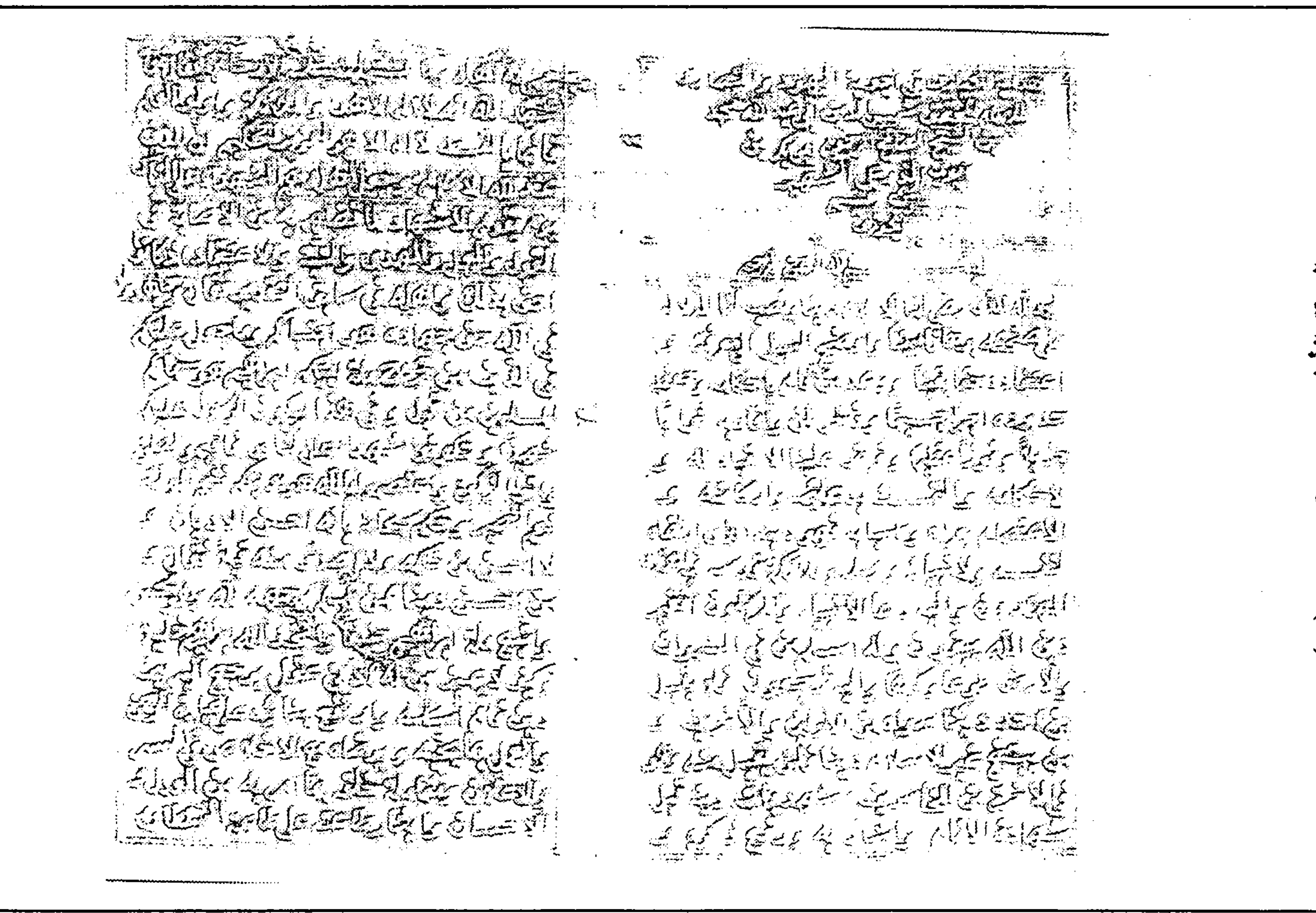
الورقة الأولى من نسخة يني جامع (ج)



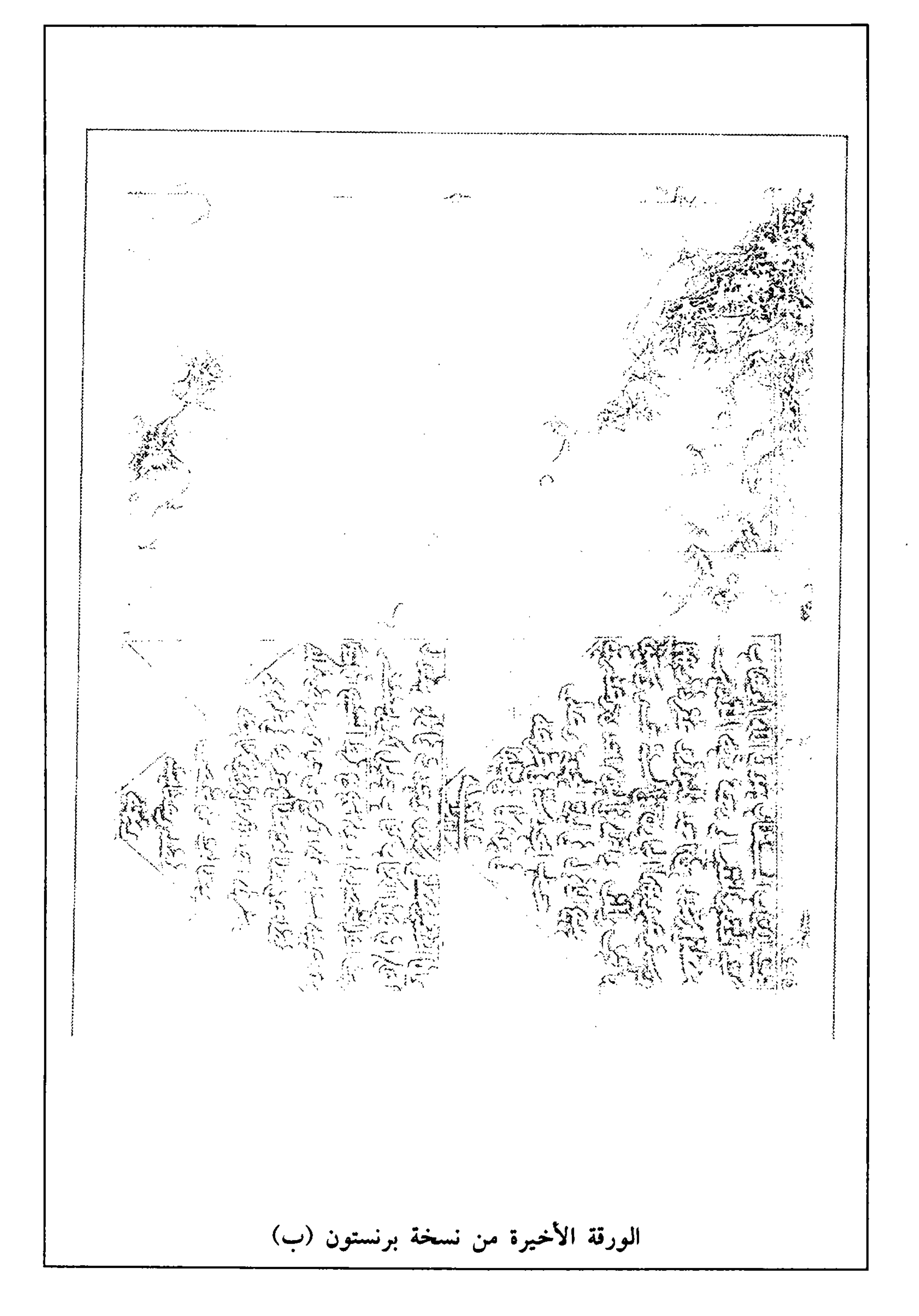
قال الله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره
كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة
كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة
لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه
نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشا ويضرب الله
الامثال للناس والله بكل شي عليم ثم ذكر حال الكفار
واعمالهم وتقلبهم في الظلمات فقال والذين كفروا
اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه
لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه
والله سريع الحساب او كظلمات في بحر لجي يغشاه
موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا
اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له
من نور تم الكتاب بحمد الله تعالى وعونه
ولطفه وكرمه وحسن توفيقه
كتابة وهو حسبنا ونعم
الوكيل وصلى الله
على سيدنا محمد
وعلى اله
وصحبه
اجمعين
امين

امين وكان الفراغ من تحرير هذه النسخة المباركة
في يوم السبت المبارك تاسع عشرين شهر رمضان
المعظم سنة ست وستين والف من الهجرة النبوية
على صاحبها افضل الصلاة واتم التحية على يد افقر
العباد الى رحمة الله تعالى قاسم ابن محمد الرومي
بلدا او المصري موطنا حامدا ومصليا على نبيه واله
وصحبه [illegible] وما اشتاقت نفسي ومن لي
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وعدة اوراقها مايه
[illegible]
[illegible]

الورقة الأخيرة من نسخة يني جامع (ج)

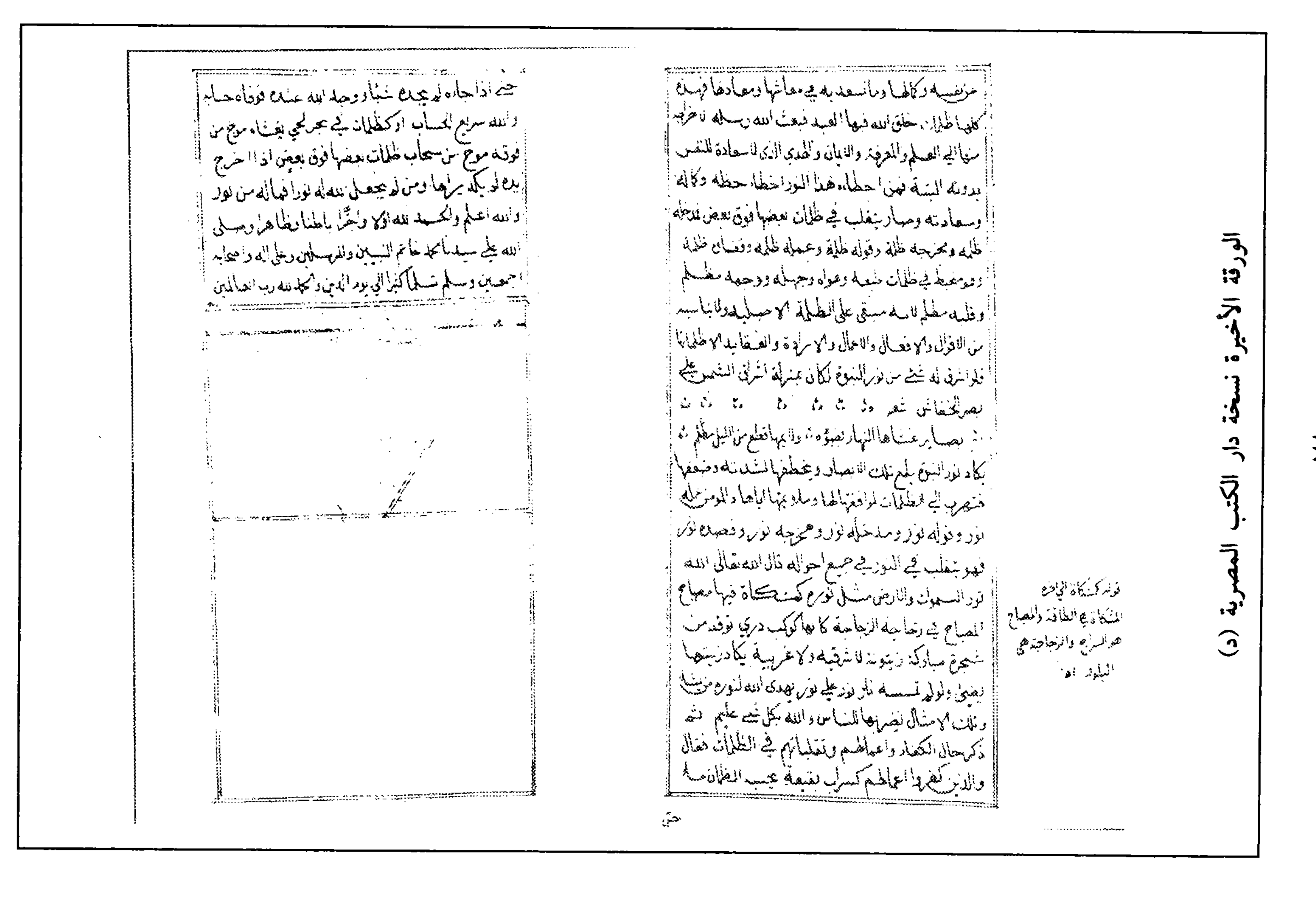


الورقة الأولى من نسخة برنستون (ب)



الورقة الأخيرة من نسخة برنستون (ب)

الورقة الأولى نسخة دار الكتب المصرية (د)



من نفسه وكمالها وما تسعد به في معاشها ومعادها فهي
كلها ظلمات خلق الله فيها العبد فبعث الله رسله لإخراجه
منها إلى العلم والمعرفة والإيمان والهدى الذي لا سعادة للنفس
بدونه البتة فمن أخطأه هذا النور أخطأه حظه وكماله
وسعادته وصار يتقلب في ظلمات بعضها فوق بعض فمدخله
ظلمة ومخرجه ظلمة وقوله ظلمة وعمله ظلمة وقصده ظلمة
وهو متخبط في ظلمات طبعه وهواه وجهله ووجهه مظلم
وقلبه مظلم لأنه يبقى على الظلمة الأصلية ولا يناسبه
من الأقوال والأفعال والأحوال والإرادة والعقائد إلا ظلماتها
فلو أشرق له شيء من نور النبوة لكان بمنزلة إشراق الشمس على
بصر الخفاش ثم
بصائر غشاها النهار بضوئه ولاءمها قطع من الليل مظلم
يكاد نور النبوة يلمع بتلك الأبصار ويخطفها لشدته وضعفها
فتهرب إلى الظلمات لموافقتها وملاءمتها إياها والمؤمن عمله
نور وقوله نور ومدخله نور ومخرجه نور وقصده نور
فهو يتقلب في النور في جميع أحواله قال الله تعالى الله
نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح
المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من
شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها
يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء
ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم ثم
ذكر حال الكفار وأعمالهم وتقلبهم في الظلمات فقال
والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء

حتى

نوره كمشكاة أي [illegible]
المشكاة هي الطاقة والمصباح
هو السراج والزجاجة هي
القنديل اهـ

حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه
والله سريع الحساب أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من
فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج
يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور
والله أعلم والحمد لله أولا وآخرا باطنا وظاهرا وصلى
الله على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وأصحابه
أجمعين وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

الورقة الأخيرة نسخة دار الكتب المصرية (د)

فهرس الموضوعات